هنري السادس الألماني

بين

الطموح الإمبراطوري والواجب الصليبي

(١١٩٠-١١٩٧م)

د/ حسن أحمد عبدالجليل البطاوي

أستاذ العصور الوسطى المساعد

كلية الآداب – جامعة أسيوط

يناقش هذا البحث قضية مهمة في تاريخ العصور الوسطى، تلك القضية التي شغلت نفراً من المختصين، وهي تحديد الهدف من وراء صليبية هنري السادس الألماني، وهل كان مدفوعاً بالواجب الصليبي، ومؤمناً بجدوى الحرب المقدسة، وهو ما يعني أن هنري اعتبر نفسه واحداً من جنود الرب الذين سعوا لخلاص أرواحهم في سبيل تخليص قبره المقدس. أم أن هنري كان يهدف من وراء مساعيه السياسية والدبلوماسية والعسكرية إلى تحقيق طموح شخصي ورثه عن أسلافه الهوهنشتاوفن.

والواقع إن عدداً من الدارسين يميلون إلى الاتجاه في نفس الطريق الذي سلكه أغلب مؤلفي المصادر المعاصرة للأحداث، فيعتبرون أن هنري السادس كان مدفوعاً بالحنين إلى الأراضي المقدسة، وراغباً في تخليصها من أيدي أعداء الرب، ولدى بعضهم قناعه بأن هنري سعى بحملته إلى تلبية الدعوة التي وجهها إليه صليبيو الشرق يطلبون منه مد يد المساعدة لهم.

ونحا فريق آخر من الدارسين نحواً مختلفاً؛ فقالوا إن صليبية هنري هدفها هو بيزنطة، فلا زال هنري يحمل حقداً دفيناً على تلك الإمبراطورية التي بددت حلم والده الإمبراطور فردريك الأول بربروسا – حسب اعتقاده، كما تسببت من قبله في تحطيم جيش كونراد الثالث الألماني أثنا الحملة الصليبية الثانية، ولذا رأوا أن هنري سعى للانتقام من بيزنطة بهذه الحملة.

وسوف نرى من خلال دراسة الموضوع أن هنري السادس كان لديه طموح دفعه إلى السعي نحو استعادة مجد الإمبراطورية الرومانية، وجعلها إمبراطورية عالمية، لا شريك لها في صفتها، وصبغها بالصبغة الألمانية.

بداية فإن هنري السادس Henry VI هو ابن الإمبراطور فردريك الأول بربروسا Frederick I Barbarossa [1]. ولد في عام ١١٦٥م/٥٦٠هـ، وجعله

والده ولياً للعهد على عرش ألمانيا منذ عام ١١٦٩م/٥٦٤هـ. وتولى حكم ألمانيا في عام ١١٨٩م/٥٨٥هـ عندما خرج والده فردريك الأول بحملته الصليبية، وكان هنري آنذاك قد بلغ من العمر حوالي الثالثة والعشرين. ثم تولى انفرد بحكم ألمانيا فعلياً بعد وفاة أبيه غرقاً في أحد أنهار آسيا الصغرى في يونيو عام ١١٩٠م/جمادى الأولى ٥٨٦هـ أثناء زحفه بحملته الصليبية متجهاً إلى الأراضي المقدسة في فلسطين.، وعُرف هنري بلقب "السادس". ثم توج إمبراطوراً رومانياً في عام ١١٩١م/٥٨٧هـ[٢].

وتوافر لدى هنري من العوامل ما جعله مؤهلاً للسعي بجد نحو تحقيق عالمية الإمبراطورية الرومانية المقدسة. ويأتي على رأس هذه العوامل نشأة هنري وثقافته، فقد نشأ في أجواء شكلت شخصيته، وجعلته بيئته المحيطة به يتشبع بأفكار عظمة الإمبراطورية. ثم إن هنري امتلك من الذكاء ما جعله يستفيد من التجارب التي خاضها في صباه وشبابه، واتجه بعقله الراجح نحو تحصيل العلوم، وذكرت بعض المصادر جانباً من اهتمامه بالتزود بالمعارف بشكل ملحوظ، حتى اعتبره البعض ملكاً فيلسوفاً[٣]. وإلى جانب هذه الزاوية المضيئة في شخصيته، فإنه كان بالغ القسوة، ويفتقر الى التواد في علاقاته الإنسانية، ما جعله داهية سياسية، وفارساً مقاتلاً من طراز فريد[٤]

وأما العامل الثاني فتمثل في جملة ما ورثه هنري عن والده الإمبراطور فردريك الأول وأفكاره فيما يخص عالمية الإمبراطورية الرومانية وعظمتها، وتمثلت في ذهنه القيصرية الرومانية ورآها في شخص والده. وألهمه ذلك فكرة استعادة الإمبراطورية، وباتت هذه الفكرة حلماً يراوده حتى أصبح إمبراطوراً[٥].

واكتسب هنري العامل الثالث الداعم له من زواجه، ففي أواخر يناير ١١٨٦م/ذو القعدة ٥٨١هـ، زوجه والده من الأميرة كونستانس Constance أخت

الملك وليم الأول الصقلي، وعمة وليم الثاني، وصاحبة الحق في إرث عرش صقلية بعد ذلك. وجاء زواجه دعامة قوية لوالده فردريك الأول آنذاك، ثم لهنري شخصياً بعد ذلك، عندما اعتبر نفسه وريثاً لنورمان صقلية في ملكهم وسياستهم(٦). وسوف نري فيما بعد كيف استفاد هنري السادس من تلك الزيجة، واستخدم إرث زوجته بصورة فاعلة لتحقيق طموحه.

وجاء العامل الرابع من الدعم الداخلي الذي قدمه الإمبراطور فردريك الأول بتخلصه من منافسه القوي هنري الأسد Henry the Lion دوق سكسونيا وبافاريا، وترجيح كفة الجبلينيين Ghibellines على خصومهم الجولفيين Guelf (٧). فقد حقق فردريك عدة انتصارات قلمت أظفار منافسه وحدت من خطورته. وعزم فردريك على إبعاد هنري الأسد عن ألمانيا عندما شرع في القيام بحملته الصليبية، ففي مايو ١١٨٩م/ربيع الآخر٥٨٥هـ أجبر فردريك عدو بيته على الخروج منفياً لمدة ثلاث سنوات خارج ألمانيا، وتوجه هنري الأسد إلى صهره هنري الثاني ملك انجلترا(٨). فقدم فردريك بذلك لابنه هنري السادس وخليفته ميزة التفوق على خصمه التقليدي من البيت الجولفي، وكما مكّن له في الحكم ألمانيا. وعندما انطلق فردريك بحملته الصليبية فإنه أسند مسئولية حكم الإمبراطورية لابنه ووريثه هنري، ما جعل الفتى يقوم بأعباء الحكم، ويتولى إدارة شئون الإمبراطورية بدون أن يلقى منافسة قوية، أو حدوث شيء يعكر صفو الوطن في غيبة العاهل الأكبر. وكان فردريك حريصاً على إطلاع شبله بشكل دوري بخططه العسكرية لحملته الصليبية طالما كان الجيش قريباً من أوربا(٩).

وتأتي جملة عوامل أخرى تتصل بالسياسة الخارجية ساعدت هنري السادس على المضي قدماً في سبيل تحقيق حلمه الإمبراطوري، وعلى رأس هذه العوامل ضعف الإمبراطورية البيزنطية، فالمعروف أن تلك الإمبراطورية هي الوريث

الطبيعي للإمبراطورية الرومانية القديمة، وأن التاج الذي يزين رأس إمبراطورها هو تاج القياصرة العظام. ولما كانت هذه الإمبراطورية طعاماً مستساغاً لنورمان صقلية والبلغار والصرب في الجانب الأوروبي، والسلاجقة المسلمين في الجانب الآسيوي، فضلاً عن طامعين آخرين في مناطق متفرقة ونائية على حدودها الطويلة، فإن كل ذلك مضافاً إليه الوضع الداخلي المضطرب أطمع هنري السادس في الانقضاض على تلك الإمبراطورية، ليحظى بذلك منها بتنفيذ خططه واقعياً[١٠].

وهناك عامل آخر هو لجوء حاكمي قبرص وأرمينية[١١] إلى الإمبراطور هنري السادس يطلبان تتويجهما ملكين، وقبولهما الاعتراف بسيادة إمبراطوريته على بلديهما، ما يعني أن النفوذ الألماني امتد جنوب وشرق الإمبراطورية البيزنطية، وامتلاك هنري قواعد هناك يستطيع من خلالها مد نفوذه إلى منطقة الشرق العربي، وهو ما سنعرض له لاحقاً.

وأخيراً، فإن الوضع الذي كانت عليه البابوية آنذاك لم يسمح لها أن تقف في وجه هذا الشاب الطموح، ولا تملك من القوة ما يجعلها تحبط مخططه أو توقف تنفيذه. وسوف نرى أن البابا سلستين الثالث Celectine III ١١٩١-١١٩٨م/٥٨٧-٥٩٤هـ[١٢] عاصر صعود نجم هنري السادس، وشاهد نمو قوته واغتصابه حقوقاً ليست من حقه، بل إنه اعتدى على حقوق البابوية نفسها، في حين أنها وقفت عاجزة عن رد هذه الاعتداءات. فإذا كانت البابوية على هذه الحال، فإن هنري السادس تمادى في السعي نحو تحقيق عالمية الإمبراطورية.

وإذا كان هنري قد رتب لمشروعه الإمبراطوري منذ توليه العرش، وساعدته تلك العوامل سابقة الذكر، فإنه صاغ فكرة الحرب الصليبية بالصورة التي تساعده على تحقيق هدفه. ونجح إلى حد كبير في استغلال تلك الحرب المقدسة – حسب

وجهة نظر أولئك القوم – استغلالاً فريداً، استغلها على صعيد سياسته الخارجية، واستغلها في المضمار الداخلي.

ومن هنا تشكلت شخصية هنري وتكونت خبراته وطموحاته، فوجدناه إمبراطوراً يملك طموحاً موروثاً عن أسلافه، وتدعمه شخصيته القوية، وثقافته وذكاؤه، فلعب دور البطولة على مسرح أحداث عالم العصور الوسطى طوال فترة حكمه. وجاءت براعة هنري السياسية من خلال استفادته من شعار الحرب الصليبية ليحقق من وراء ذلك هدفه الذي طالما سعى هو وأسلافه إلى تحقيقه. وسوف نجد في عرضنا الآتي أن هنري السادس لم يكن يعينه الواجب الصليبي من قريب أو بعيد بقدر ما يعنيه طموحه الإمبراطوري.

وإذا كان هنري قد نفذ صليبيته عام ١١٩٧م/٥٩٣هـ فإن لهذه الحملة مقدمات، بدايتها جاءت منذ توليه الحكم لأنها ارتبطت بفكرته عن عالمية الإمبراطورية، وسعيه نحو تحقيق هذه العالمية، ولذا جاء مشروعه الصليبي ضمن هدفه الأسمى. وسعى هنري في عدة محاور نحو تحقيق عالمية الإمبراطورية؛ محور غربي ربطه بصداقة وتحالف مع فرنسا وعداء مع إنجلترا، ومحور جنوبي خاص بعلاقته بالبابوية وأثر أطماعه في صقلية وإيطاليا على هذه العلاقة، ومحور باتجاه بيزنطة، ومحور بعيد المكان وعميق الأثر خاص بالواجب الصليبي، يغطي سياسة هنري بثوب ديني. وسنعرض هنا لهذه المحاور لنرى بالفعل أن هنري سعى لتحقيق هدفه مستتراً وراء شعار زائف، وادعى في نفس الوقت أنه يلبي نداء الواجب الصليبي.

– هنري السادس وريتشارد قلب الأسد :

مهما اختلفت الآراء حول شخصية ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا Richard I the Lionheart(١١٨٩-١١٩٩م/٥٨٥-٥٩٥هـ)[١٣] فإنه يبقى واحداً من ملوك أوربا الذين بذلوا الكثير من أجل القضية الصليبية. وبرغم ما عرف عنه من تهوره

واندفاعه فما قدمه للصليبيين في بلاد الشام ساعدهم بصورة فاعلة على الصمود في وجه بني أيوب آنذاك.

وأما عن علاقة هنري السادس بريتشارد قلب الأسد فإنها اتسمت بالكراهية الشديدة والعداء الصريح. فقد انتهج هنري نهج والده في التحلف مع فيليب أغسطس ملك فرنسا Phillip II Augustus(١١٨٠– ١٢٢٣م/٥٧٦-٦٢٠هـ)[١٤] ضد ملوك انجلترا. والمعروف أن العداء بين فيليب وريتشارد وصل إلى حد الصراع المسلح، وكان ريتشارد قد ارتبط بعلاقات مصاهرة وتحالف مع الجولفيين الألمان، وخاصة هنري الأسد ألدّ أعداء أسرة هوهنشتاوفن، والقضب القوي والمنافس لفردريك بربروسا في حكم ألمانيا، ولابنه من بعده. هذه الأوضاع جعلت هنري السادس ينحاز ضد ريتشارد[١٥]. وما زاد من حدة العداء بين الرجلين هو أن ريتشارد اتجه بسياسته ضد طموح هنري السادس، فعندما خرج ريتشارد على رأس جيشه مشاركاً في الحملة الصليبية الثالثة توقف في صقلية عام ١١٩٠م/٥٨٦هـ، وهناك تحالف مع تانكرد دوق ليتشي Tancred of Lecce الذي نجح في الوثوب على عرش صقلية، ويعتبره هنري السادس مغتصباً للعرش من زوجته كونستانس صاحبة الحقّ الشرعي[١٦].

وعلى الرغم من إن ريتشارد تأخر عن نجدة الصليبيين على ساحل بلاد الشام، ووصلته خطاباتهم تلح عليه في سرعة التحرك لمساعدتهم، فإنه توقف في جزيرة قبرص، واتخذ قراره بالاستيلاء عليها، وزحف على مدنها واحدة تلو الأخرى، حتى أتم سيطرته عليها في مايو١١٩١م/جمادى الآخرة ٥٨٧هـ، وألقى القبض على حاكمها البيزنطي إسحق دوكاس كومنين Isaac Doukas Komnenos [١٧] الذي كان قد استقل بالجزيرة عن القسطنطينية منذ وقت قصير. وربما هذا الأمر قد لقي رضى الصليبيين المتعصبين نظراً لاعتبارهم أن بيزنطة مستهدفة بالنسبة لهم، وإنها

عقبة كؤد ضد الحركة الصليبية. إلا أن هنري السادس لم ير ما رأوا، ولاشك أنه اعتبر ذلك عائقاً أمام طموحاته ومشروعه الإمبراطوري، ولذلك فإنه من الضروري عليه تحجيم ريتشارد قلب الأسد(١٨).

ثم إن ريتشارد أنهى مغامرته بالأراضي المقدسة على الساحل الشامي استعداداً للعودة إلى وطنه، فقد باع جزيرة قبرص لجاي دي لوزينيان Guy of Lusignan(١٩). ثم عقد صلح الرملة مع صلاح الدين الأيوبي في ٢ سبتمبر ١١٩٢م/الثامن والعشرين من شعبان ٥٨٨هـ، واتفق الطرفان على أن تكون مدة الهدنة ثلاث سنوات، وربما زادت المدة بعض الأشهر(٢٠).

وكان على ريتشارد عند عودته أن يتخفى حتى لايقع في يد أحد من أعدائه المتربصين به. وبالقرب من البحر الأدرياتي تحطمت سفينة ريتشارد، وجرى إنقاذه فنزل إلى الساحل سالماً، وأكمل رحلة عودته براً، حتى دخل أراضي النمسا. وفي الحادي عشر من ديسمبر١١٩٢م/الرابع من ذي الحجة ٥٨٨هـ انكشف أمر ريتشارد، وتجمهر عليه العوام فقبضوا عليه، وسلموه إلى ليوبولد الخامس دوق أوستريا(النمسا) Leopold V of Austria(٢١)، وكان الأخير يكن كراهية شديدة لريتشارد منذ أن اعتدى عليه ريتشارد وهما معاً أثناء حصار عكا على الساحل الشامي. ولما قبض ليوبولد على ريتشارد ألقاه في السجن في العشرين من ديسمبر، واستمر في سجنه مدة ثلاثة أشهر. وأما الإمبراطور هنري السادس فإنه لم يدع تلك الفرصة تفوته، فإن وقوع ألدّ أعدائه في قبضة أحد أتباعه يعني وقوعه في قبضته هو شخصياً، فإن ليوبولد تربطه بهنري علاقة تبعية، وعلى هذا الأساس تم ترحيل ريتشارد إلى سجن هنري السادس(٢٢).

هنا نجد الإمبراطور هنري السادس تحرك وفق ما أملته عليه مصالحه، فعلى الرغم من أن ريتشارد ليس فارساً عادياً وقع في يد عدوه بل هو ملك انجلترا، ثم

إنه ليس ملكاً عادياً بل هو ملك صليبي، ما يعني أنه شخص يقع تحت مظلة البابوية، وكذلك ممتلكاته وملكه وكل ذويه، ومع هذه الحصانة التي يتمتع بها ريتشارد فإن هنري لم ينظر إليها بعين الاعتبار، وألقى بالملك الصليبي في غياهب سجنه، وجلس ينظر في أمره، وكيف له أن يستفيد من أسيره.

وعلى كل حال، فإن هنري السادس اتخذ خطوة استباقية ليواجه بها أية لائمة ستوجه إليه، فقد أعلن عن عدد من الجرائم التي ارتكبها ريتشارد وهي كفيلة باعتباره مذنباً، وعلى رأس هذه الجرائم بطبيعة الحال تحالفه مع تانكرد الصقلي، ثم اعتدائه على قبرص والاستيلاء عليها. وأضاف هنري إلى ذلك اتهاماً آخر هو إهانة ريتشارد لدوق النمسا أثناء تواجدهما معاً في حصار عكا، فضلاً عن اتهامات أخرى. وأما ريتشارد فإنه انبرى في الدفاع عن نفسه موضحاً لهنري ومن نصبهم لمحاكمته أنه ملك صليبي، وكيف تلقى عليه مثل هذه الاتهامات التي لا أساس لها من الصحة، لأنها تتنافي مع ما بذله، ومع ما هو عازم على بذله من أجل القضية الصليبية. وانتهت دفوعات ريتشارد باكتسابه عطف بعض أمراء ألمانيا، لكن هنري لم يطلق سراحه(٢٣).

وخلال الفترة التي كان ريتشارد يقبع فيها داخل سجن هنري فإن فيليب أغسطس ملك فرنسا أثار القلاقل على انجلترا، وتمنى وقوع ريتشارد في قبضته هو شخصياً(٢٤). وأما البابا سلستين الثالث فإنه تعامل مع سجن الملك الصليبي ببرود، والواقع إن البابا كانت تحكمة اعتبارات قاسية سنعرضها لاحقاً. وبطبيعة الحال فإن الملكة إليانور Eleanor(٢٥)كانت منزعجة من تجاهل البابا لسجن ابنها الملك ريتشارد، وأمطرت البابا بعدد من الخطابات الموجعة. وفي أحد هذه الخطابات تصف للبابا ألمها وحسرتها، وأنها اضطرت أن تكبت جماح غيظها وآلامها حتى لا تخرج منها ألفاظ طائشة. وفي عبارات حادة للملكة خاطبته قائلة بأنه ليس من

المعقول أن يتجاهل البابا – وهو نائب المسيح وخليفة بطرس الرسول – آلام أم مكلومة، وإلا أصبح جائزاً وصف البابا بالمجرم والآثم. وربطت الملكة في خطابها بين شهامة وشجاعة أبطال بعض القصص التي وردت في الكتاب المقدس، ومثلها لبعض البابوات والملوك الأوربيين السابقين من جانب، وبين ما يجري من البابا تجاه اعتداء هنري السادس على ريتشارد من جانب آخر، وأنه كان من الضروري أن يأخذ البابا جانب الحق ويتدخل لإجبار الإمبراطور على إطلاق سراح ابنها. وفي عبارات لاذعة وحادة وجهت إليانور اللوم للبابا على أن كرادلته ينتقلون في مواكب ضخمة إلى بلاد بعيدة لأسباب تافهة، وأما هاهنا فإن البابا لم ينتدب أي مساعد شماس أو حتى خادم ليتوجه إلى هنري السادس لتحرير الملك ريتشارد، وتتهم الملكة البابا ورجاله صراحة أن مصالحهم هي التي تحركهم، وليس اعتبارات المسيح ومجد الكنيسة، والسلام الذي ينبغي أن يسود بين الممالك(٢٦).

وأما الإمبراطور هنري السادس فإنه عندما عقد العزم على التوجه بثقله السياسي والعسكري نحو إيطاليا فقد قرر إنهاء مشكلاته المعلقة مع البابوية، وتخليص إرث زوجته في صقلية، ولذلك كان عليه أن يحسم أمر سجينه حتى لا يثير على نفسه غضب أعدائه. ففتح باب المفاوضات مع الملكة إليانور أم ريتشارد، وترددت السفارات بين الجانبين. وجاءت المفاوضات في نهايتها بشروط بالغة القسوة على ريتشارد ومملكته، فقد أُجبرت الملكة إليانور على دفع مبلغ ضخم من المال مقابل إطلاق سراح ريتشارد، ويدفع مبلغ مقدم من الفدية، والباقي على أقساط محددة في أوقات معلومة. على أن تقدم مملكة انجلترا رهائن من كبار الشخصيات الإنجليزية إلى هنري السادس حتى يتم دفع الفدية كاملة، وإضافة إلى ذلك فإن ريتشارد وافق على جعل انجلترا إقطاعاً للإمبراطور هنري. ونهضت الملكة الأم في تحصيل المال من مصادر شتي؛ فاستفرغت خزائن المملكة، ثم امتدت يدها إلى

الكنائس فأخذت منها قدراً كبيراً، وأرسل المبلغ المتفق عليه كمقدم وبصحبته الرهائن الإنجليزي إلى الإمبراطور هنري، فاطمئن قلبه على ما تبقى من مال الفدية، وزيادة في الحرص فقد أقسم ريتشارد على الوفاء بسداد المبلغ المتبقي. وفي مارس ١١٩٤م/ربيع آخر ٥٩١هـ أطلق هنري السادس سراح ريتشارد قلب الأسد الذي عاد مسرعاً إلى وطنه(٢٧).

وأما أعداء هنري السادس والمتعاطفون مع ريتشارد، وبطبيعة الحال الإنجليز على رأسهم، لم يكونوا راضين بأي حال من الأحوال عما ارتكبه هنري، ومن قبله دوق النمسا، في حق الملك الصليبي ريتشارد. وكان هذا الفريق ناقماً أشد النقمة مما جرى، ولم يكن أمراً مقبولاً أن يقبع أحد الملوك ذوي الأصول النبيلة في سجن هنري. ومازاد النقمة على هنري هو أن ريتشارد حال إلقاء القبض عليه كان عائداً من الأراضي المقدسة، وخاض هناك حروباً عنيفة ضد أعداء المسيحية، فهو من وجهة النظر هذه واحد من جنود الرب. واعتقد المتعاطفون مع ريتشارد لو أنه وقع في أسر صلاح الدين ألدّ أعداء المسيحية ما فعل به كما فعل هنري السادس. ومن جانبه فإن ريتشارد لم يترك الأمر يمر هكذا بسهولة، فقد رفع شكوى إلى البابا سلستين الثالث ضد من اعتدوا عليه. واكتفي البابا بإصدار قرار بالحرمان الكنسي(٢٨) ضد دوق النمسا وجميع الذين عاملوا ريتشارد بقسوة، ولم يشر البابا في قراره إلى الإمبراطور هنري السادس(٢٩).

وهنا عدة أمور تسترعي الانتباه هي أن هنري واجه ملكاً صليبياً، ومن باب المبالغة في القول أن نعتبر هنري متعاطفاً مع هذا الرجل أو مع الفكرة التي قاتل من أجلها، ولو أن هنري يحمل قليلاً من التعاطف تجاه القضية الصليبية لكان متسامحاً تجاه ريتشارد ولو بقدر قليل من التسامح، ولم يكن بتلك القسوة التي رأيناه عليها، ثم لاستجاب لمن دعاه لإطلاق سراحه كون ريتشارد الأخير بذل الكثير من

أجل القبر المقدس. وكذلك فإن هنري السادس لم يضع اعتباراً لحماية الكنيسة لأولئك الصليبيين، إذ ليس من المقبول أن يكون هنري صليبياً ولا يدور في خلده أن يكلف نفسه جهداً كبيراً، وكذا يكلف بلاده عبء حملة صليبية إلى الشرق من أجل مبادئ يؤمن بها. والأمر الثاني هو أن هنري لا يعنيه سوى الانتقام ممن اعتدى على مصالحه في صقلية، وتحالف مع عدوه تانكرد. والأمر الأخير هو ما اعتبره هنري مساساً بنفوذه وطموحه، وأن حلم الإمبراطورية العالمية لا يصبح واقعاً مع وجود ملك مثل ريتشارد فارضاً اسمه على الساحة الأوروبية وحوض البحر الأبيض المتوسط.

- الصدام مع البابوية وانتفاء الواجب الصليبي :

ثم تأتي علاقة هنري السادس بالبابوية كاشفة عن مساعيه نحو تحقيق طموحه الإمبراطوري، وتأكيد على أنه كان يسعى وراء تحقيق فكرة إقامة إمبراطورية عالمية، ونافية الادعاء بأنه رجل صليبي ويخدم القضية الصليبية. ورأى هنري أن تحطيم مبدأ البابوية الراسخ وهو الادعاء بحقها في تتويج الإمبراطور ذلك هو المدخل الأساسي إلى كيان إمبراطوريته. والواقع إن البابوية ساعدت هنري بطرق غير مباشرة على السعي نحو تحقيق حلمه، لأنها لم تكن آنذاك تملك القوة الفعلية التي تستطيع من خلالها تعزيز موقفها في مواجهة الإمبراطور هنري[٣٠].

كان البابا كلمنت الثالث(١١٨٧ - ١١٩١م/٥٨٣-٥٨٧هـ)[٣١] يجلس على الكرسي البابوي عند تولي هنري السادس الحكم في ألمانيا. وفي مارس ١١٩١م/ربيع أول ٥٨٧هـ توفي البابا قبل أن يتوج هنري إمبراطوراً. ومع تولي البابا سلستين الثالث كانت الفرصة مواتية لهنري لكي يتحرك نحو إيطاليا فزحف بجيش ضخم إلى روما بهدف التتويج. وما أخفاه هنري من أهداف حملته أكثر مما أعلنه، فلاشك أنه سعى من وراء هذا الحشد استعراض قوته لإرهاب البابا

والإيطاليين، هذا فضلاً عن سعيه للاستيلاء على مملكة صقلية إرث زوجته من الملك تانكرد. وفي أبريل من نفس العام توج هنري في روما بيد البابا ثم غادرها زاحفاً بجيشه باتجاه الجنوب للقضاء على تانكرد مغتصب عرض صقلية. وعلى الرغم من إن تانكرد يحكم صقلية كتابع للبابوية، فإن البابا لم يحرك ساكناً لكف هنري عن الاعتداء على تانكرد. ولكن أصاب الفشل حملة هنري، فاضطر إلى العودة إلى ألمانيا(٣٢).

ومن هنا نرى أن هنري السادس سعى نحو تحقيق طموحه بدون النظر إلى أي اعتبارات أخرى، فلاشك أن حملته على صقلية كانت ضد مصالح البابوية. فإذا كان هنري قد توج بيد البابا في كنيسة القديس بطرس فإن ذلك لايعني خضوعه للبابوية، إذ خرج بعد تتويجه لضرب واحد من أهم حلفاء البابوية هو ملك صقلية، بل إن تانكرد فصل إقطاعي تابع للبابا، ما يعني أن هنري ضرب مصالح البابوية مباشرة. ويجب التأكيد هنا على تعارض طموح هنري السادس مع كونه مؤمناً بفكرة الحرب الصليبية، فلو أنه كان إمبراطوراً صليبياً أو أنه يخدم الحرب المقدسة فهذا يعني في المقام الأول طاعته للبابا، وخضوعه للبابوية، واستعداده لخوض غمار الحرب دفاعاً عن مصالحها، لا أن يقوم بتعكير صفو سلام البابوية، والجنوح ضد أهدافها.

وإذا كانت حملة هنري السادس على صقلية فشلت في تحقيق هدفها ضد نورمان صقلية هذه المرة، فإنه لا يزال يترقب الفرصة للانقضاض عليها مستغلاً وضعه الذي اكتسبه بحكم زواجه من كونستانس، وأنه لن يترك صقلية بموقعها الحيوي الذي سوف يتيح له تضييق الخناق على البابوية في روما، ويضرب بيزنطة مباشرة في البلقان وشرق البحر المتوسط، علاوة على إمكانية استخدامها كقاعدة للتوسع الذي يخطط له باتجاه الشرق الفرنجي مستفيداً من رفع شعار الحرب الصليبية(٣٣).

وما جرى في عام ١١٩٤م/٥٩١هـ شجع هنري السادس على العودة مجدداً إلى جنوبي إيطاليا، فقد توفي تانكرد ملك صقلية، واختار النورمان واحداً من ولديْه، وهو المدعو وليم الثالث ليكون ملكاً خلفاً لوالده. وأما هنري فقام على تهدئة الأوضاع في ألمانيا، ثم أسرع بجيشه نحو صقلية، بعدما كان قد جهزه مستفيداً في تجهيزه من الأموال التي أخذها من الملكة إليانور كمقدم فدية ابنها الملك ريتشارد. وحالفه التوفيق في هذه الحملة، فنجح في إخضاع النورمان، واستولى على مملكتهم بدون مقاومة تذكر، وألقى القبض على ولدي تانكرد، وأمر بقلتهما، ثم توج ملكاً على صقلية بيد رئيس أساقفة بالرمو(٣٤).

وجاء استيلاء هنري السادس على مملكة النورمان في جنوب إيطاليا كاشفاً عن أطماعه الواسعة، فهو بذلك أصبح الرجل الأقوى في أوربا، ونجح في تضييق الخناق على البابوية والمدن الإيطالية حيث وقعوا بين مملكتيه ألمانيا في الشمال وصقلية في الجنوب، وبخاصة أن معظم أمراء ألمانيا دانوا بالخضوع لإرادة الإمبراطور، وصقلية كفيلة لتدعمه بثروتها الطائلة. ثم إنه كان واضحاً بجلاء مدى النفور بين الإمبراطور والبابا، أو بين طموح هنري وحقوق البابوية. فمن المعروف أن البابوية صاحبة السيادة الإقطاعية على ملوك صقلية، وانتقال الحكم في هذه المملكة إلى هنري يستوجب عليه الاعتراف بسيادة البابا، وهو ما لم يقبله هنري السادس، بل إنه أعلن صراحة عن عزمه على إخضاع البابوية لسلطانه(٣٥).

وحتى ذلك الحين فإن هنري السادس سعى بدأب نحو تحقيق طموحه بغض النظر عن مصالح البابوية، وبدون الالتفاف إلى القضية الصليبية إلا فيما يخص إرثها البغيض الذي خلفه البيزنطيون حين عرقلوا مسيرة جيش والده فردريك الأول أثناء زحفه داخل الأراضي البيزنطية باتجاه الأراضي المقدسة في فلسطين. وفي السادس والعشرين من ديسمبر ١١٩٤م/العاشر من المحرم ٥٩١هـ وفي الوقت

الذي كان هنري يتوج فيه ملكاً على صقلية في بالرمو كانت زوجته كونستانس تضع مولودها الذي سمي على اسم جده فردريك. ووصول هذا المولود في هذا التوقيت جعل هنري يعجل بالسعي نحو توريث وليده السلطة، ما جعل هنري أكثر مرونة مع البابا سلستين الثالث وأمراء ألمانيا. فأظهر السخاء مع أمراء ألمانيا إلى حد كبير، ثم عرض تنازلات مالية ضخمة للكنيسة. ولما جاء رد فعل البابا رافضاً توريث التاج الألماني والصقلي موحداً في سلالة هنري، فإن الأخير لجأ إلى المدارة باسم الحرب المقدسة، واتخذ قراره بالقيام بحرب صليبية لإنقاذ القبر المقدس من أيدي أعداء المسيح، وتقديم العون للصليبيين المقيمين هناك. وهكذا لم يجد هنري غضاضة في رفع شعار الحرب المقدسة استجلاباً لعطف البابوية، وتفادياً لعدائها المتوقع، طالما كانت تلك المدارة ستساعده على تحقيق طموحه(٣٦).

ومن هنا نجد أن الإمبراطور هنري السادس اصطدم بالبابوية في سبيل تحقيق طموحه، ولم يكن مقبولاً من البابا أن يتنازل للإمبراطور أكثر مما تنازل مؤجلاً الصدام به، فقد توحش هنري في طموحه حتى التهم مملكة صقلية، ما جعله يخضع البابوية لسلطانه، وراح يتصرف في إيطاليا وفق هواه حتى يدعم نفوذه فيها بدون النظر لمصالح البابوية وهيبتها. ولما كان طموح هنري أكبر مما أنجزه حتى الآن، وأنه مازال أمامه خطى عديدة، وعلى رأسها مسألة توريث الحكم لابنه، فإنه حتماً كان في حاجة إلى موافقة البابوية على ذلك، وأنه إذا أيده البابا فإنه يستطيع بذلك مواجهة أمراء ألمانيا المعارضين لتوريث الحكم. وجاء رفض البابا عقبة كؤد أمام الإمبراطور هنري. ومن هنا رأى هنري أن إعلانه عن خروجه بحملة صليبية سيكسبه ود البابا، وربما يضمن له اصطفافه إلى جانبه. ولم يكن إعلان هنري عن صليبيته نابعاً من إيمانه بالفكرة، وإنما كان يسعى نحو تحقيق مشروعه الخاص، وهو ما سيظهر جلياً من خلال علاقته ببيزنطة.

- صليبية هنري ضد بيزنطة :

وأما عن علاقة هنري السادس ببيزنطة، فإذا غضضنا الطرف عن كراهيته الشخصية لتلك الإمبراطورية التي أضرت بوالده، فإن الجالس على عرشها يزين رأسه بتاج ليس من حقه أن يرتديه – كما يرى هنري، بل ويعتبر نفسه الأحق بهذا الشرف دون هؤلاء الإغريق الهراطقة المبغوضين

ولذا فقد اتفق عدد من المختصين على أن هناك مقدمات جعلت هنري السادس يكن كراهية لبيزنطة، وأنه عازم بلا هوادة على توجيه حملة إليها عندما تواتيه الفرصة، وأنه لن يكف عن اتخاذ ما يمكنه من وسائل عدوانية تجاه بيزنطة. هذا وإن جرى بين بعض هؤلاء المختصين اختلافات حول دوافع هنري وراء حملته على بيزنطة.(٣٧)

إن أطماع هنري السادس في بيزنطة لم تكن موضع شك، وقد اتخذ سبلاً عديدة من أجل تحقيقها. وبدأ هنري أولى خطواته في عام١١٩٤م/٥٩١هـ عندما خطب الأميرة إيرين ابنة الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس لأخيه فيليب السوابي Philip of Swabia ، ورتب هنري لهذه الزيجة حتى تعطيه حقاً في العرش البيزنطي، وأنه من الممكن أن تتوحد الإمبراطورية الشرقية مع الغربية تحت حكمه(٣٨) وليس هذا الهدف بعيد المنال على هنري، وبخاصة أنه آنذاك أصبح قاب قوسين أو أدنى من ضم مملكة صقلية التي يطالب بها نتيجة زواجه من وريثتها. وبالفعل فقد أعقب هنري هذه الخطوة بنجاحه في ضم صقلية عام ١١٩٥م/٥٩٢هـ، كما ذكرنا من قبل. فاعتبر نفسه وريثاً للنورمان في ملكهم بصقلية وجنوب إيطاليا، وخليفتهم في سياستهم العدائية تجاه بيزنطة(٣٩).

وفي هذا التوقيت وجد هنري السادس أن الظروف ملائمة جداً ليعلن عن حملته الصليبية، فهو في حاجة إلى إقناع أمراء ألمانيا المعارضين له في الحكم أنه ليس

عدواً للبابوية، وأن مساعيه الأخيرة تصب في صالح ألمانيا والبابوية جميعاً، ثم إنه لاشك سوف يصبح الرجل الأقوى في ألمانيا. وإعلانه عن القيام بحرب صليبية سوف يقلل من حدة غضب البابا بعد استيلائه على مملكة صقلية، وسوف تعود العلاقة بينهما إلى الانسجام والتوافق. ورأى هنري في إعلان صليبيته فرصة مناسبة للضغط على الإمبراطورية البيزنطية من خلال التلويح باستخدام حملته ضدها، ثم التصريح مباشرة بالهجوم على أراضيها.

وفي أسبوع الآلام لعام ١١٩٥م/٥٩٢هـ تلقى هنري السادس شارة الصليب من يد يوحنا أسقف سوتري Sutri . وفي يوم عيد الفصح أعلن هنري عن صليبيته في المجلس التشريعي لمدينة باري الإيطالية، وأنه سوف يقوم بالإنفاق على ألف وخمسمائة فارس، ومثلهم من أتباع الفرسان الذين يحملون الدروع، هذا بخلاف جيش الفرسان الصليبيين المشاركين، وهذا الإنفاق يستمر لمدة عام. واعترض بعض أمراء ألمانيا على الخروج في الحملة محتجين بالاضطراب وعدم الاستقرار الذي يسود بلادهم، وأن ذلك يحتم عليهم العودة إلى ألمانيا لترتيب أمورهم، والتجهيز لمثل هذه الحملة. ونزل الإمبراطور على رغبة هؤلاء الأمراء، ووجد في هذا الإرجاء فرصة ليرتب هو أيضاً أموره، ويستعد لتلك الحملة بما تحتاجه من سفارات دبلوماسية ورسائل لتذليل العقبات التي يتوقع مواجهتها. وأما الأمراء الألمان الراغبون في العودة إلى ألمانيا فقد غادروا إيطاليا ليأخذوا وقتهم في الاستعداد للحملة، واشتغل الإمبراطور من ناحيته بالتجهيز للحملة، فأعد السفن التي ستقل المشاركين، ووفر ما يلزم المحاربين من الإمدادات والذخائر في جنوبي إيطاليا(٤٠). وأرسل إلى البابا يحثه على الدفع برجاله للتحرك من أجل الحشد للحملة الصليبية، وكان من الصعب على البابا أن يرفض دعم حملة هنري الصليبية معنوياً، فوافق على هذه الحملة في غير رغبة منه، لأنه لا يستطيع أن يرفض حملة

يعلن قائدها أنه يخدم بها المسيحية، وأنه يسعى لاستخلاص الأماكن المقدسة. ووجه البابا دعوته إلى رجاله للقيام على حث الناس للمشاركة في الحملة. فجاءت الدعوة لهذه الحملة في صورة ليس لها مثيل بين الحملات الصليبية جميعاً، إذ تحمس لها الطرف العلماني ممثلاً في الإمبراطور هنري السادس، وتكاسل عن نصرتها الطرف الديني ممثلاً في البابا سلستين الثالث(٤١).

ولما كانت الاستعدادات للحملة تسير في اتجاهها الصحيح فقد رأى الإمبراطور هنري أن يبدأ بالتلويح بتهديد بيزنطة، فأرسل سفارة قبل أبريل١١٩٥م/جمادى الأولى ٥٩٢هـ إلى الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجليوس Isaac II Angelos(٤٢)، حملت السفارة خطاباً حاد اللهجة، طلب هنري فيه أن تدفع بيزنطة تعويضات باهظة عما سببته من خسائر لوالده فريدريك بربروسا أثناء عبوره الأراضي البيزنطية عام١١٩٠م/٥٨٦هـ وهو في طريقه إلى بلاد الشام، وطلب منه أن يتكفل بتقديم المساعدات المطلوبة للجيش الألماني عند مروره على أراضي بيزنطة وهو في طريقه إلى الأراضي المقدسة، وأن يدعم إسحق جيش هنري بأسطول بيزنطي يقله إلى سواحل بلاد الشام. وإذا كانت هذه المطالب مقبولة جدلاً فإن هنري لم يكتف بذلك بل زاد في ضغطه على بيزنطة، فطلب من إمبراطورها أن يتخلى عن الأراضي الممتدة من دورازو Dorazzo (Dyrrachium) إلى سالونيك Thessalonica في البلقان، وأن يلقب هنري بسيد الأسياد، ويناديه بملك الملوك، وهو ما يعني أن هنري يسعى لفرض سلطانه على الإمبراطورية البيزنطية (٤٣). فحسب اعتقاد هنري أن الأراضي التي يطالب بيزنطة بها ليست إلا أراضي تابعة لمملكة النورمان، إذ سبق لهم أن استولوا عليها من بيزنطة في وقت سابق، واعتبر هنري نفسه خليفة ملوك صقلية النورمان، وهدد هنري الإمبراطور البيزنطي بتوجيه حملة على بلاده إذا لم يستجب لمطالبه(٤٤).

وهنا نجد الإمبراطور هنري السادس يعد العدة للقيام بحملة رفع الصليب شعاراً لها، وناشد البابوية مساندته في الحشد لهذا العمل العسكري، وهو في ذات الوقت يستغل هذا الحشد للضغط على بيزنطة بتلك الطريقة المستفزة، التى لاشك ستجد رفضاً من إمبراطور بيزنطة، ما يعني بالنسبة لهنري أن بيزنطة ستدفع بنفسها إلى منازلة عسكرية، يعلم هو مسبقاً أنها محسومة لصالحة، وخاصة أن هنري لديه من المعلومات ما تعانيه بيزنطة من اضطرابات على حدودها، فضلاً عما تعانيه من مشاكل داخلية معقدة.

ولما كان إسحق الثاني أنجيلوس يملك من الحكمة والدبلوماسية الكثير مما ترسخ في البلاط البيزنطي، وأنه يعلم أن بيزنطة لا تقوى على مواجهة الغدر الألماني إلا بالمفاوضات، فقد جعل الدبلوماسية سبيله لكسب الوقت تجاه ضغط هنري السادس، وأرسل إلى هنري بموافقته على دفع المال مقابل السلام. ومع بدء المفاوضات جرى في البلاط البيزنطي انقلاب أطاح بالإمبراطور، فقد خرج ألكسيوس أنجيلوس على حكم أخيه. وفي الثامن من أبريل ١١٩٥م/السادس من جمادى الأولى ٥٩٢هـ ألقى القبض على إسحق، وسمل عينيه، وأمر بسجنه، وجلس على عرش بيزنطة حاملاً لقب ألكيسوس الثالث Alexios II [٤٥].

وللوهلة الأولى يبدو هذا الانقلاب غير سار بالنسبة لهنري السادس، ولكنه في الحقيقة جاء في توقيته المناسب، إذ دفع بيزنطة دفعاً في مواجهة هنري، فبغض النظر عما جرى نتيجة خلع إسحق الثاني من تعطل المفاوضات حول مطالبه التي قدمها لبيزنطة، فإن هنري رأى أن من حقه التدخل في شئون بيزنطة، وحجته في ذلك أنه يطالب بحق إسحق الثاني المخلوع، والد الأميرة إيرين زوجة أخيه فيليب السوابي. ولم يعد أمام هنري ما يمنعه من تنفيذ تهديده وبتوجيه ضربة إلي بيزنطة،

فإن التجهيز للحملة يجري على قدم وساق في صقلية، مضافاً إليها الحشود الألمانية، وهي الخطوة الأكثر فاعلية في سبيل تحقيق حلمه الإمبراطوري(٤٦).

ورأى البابا سلستين الثالث أن تهديد هنري السادس لبيزنطة بتوجيه حملته إليها أمر غير مقبول، فعلى الرغم من الاختلافات المذهبية بين روما وبيزنطة إلا أن البابا وقف بشدة مسانداً لبيزنطة، ورفض خروج حملة صليبية تكون وجهتها بيزنطة، وأن على هنري التوجه بحملته إلى الأراضي المقدسة بفلسطين. ولن تقف البابوية مكتوفة الأيدي إذا سقطت بيزنطة في يد هنري، وليس مقبولاً أن يجمع بين تاجي الإمبراطورية الشرقية والغربية، وهو الأمر الذي يعني فقدان البابوية لكل نفوذ سياسي في أوربا(٤٧).

ومن الضروري لفت الانتباه إلى أن هنري استقبل وهو في صقلية مبعوثي أموري لوزينيان حاكم قبرص Aimery of Lusigna ، وعرضوا عليه ولاء سيدهم للإمبراطورية، وطلبوا منه تتويجه ملكاً، وقبل هنري ولاء أموري، ووعد رسله بتتويج سيدهم. ثم جاءه رسول من قبل ليون الثاني الأرمنيLeon II of Armenia، وقدم ولاء سيده لهنري، وطلب منح سيده التاج، ووعده هنري باستجابة طلبه(٤٨).

وأما الإمبراطور هنري السادس فقد ألهبته الأحداث الأخيرة حماساً منقطع النظير تجاه بيزنطة، ورأى أن يستغل ما جرى من انقلاب في البلاط البيزنطي، علاوة على ضمانه خضوع قبرص وأرمينية لسيادته، وهما اللتان كانتا تدوران في فلك بيزنطة إلى عهد قريب. فأرسل هنري سفارته الثانية إلى بيزنطة في سنة ١١٩٦م/٥٩٣هـ، والتقى رسله الإمبراطور الجديد ألكسيوس الثالث، وأبلغوه رسالة هنري التي كانت لهجته فيها أكثر حدة من الرسالة السابقة، بل إنها حملت تهديداً صريحاً لبيزنطة. وطلب هنري في هذه الرسالة أن يدفع ألكسيوس مبلغاً ضخماً من المال، علاوة على التزامه تمهيد الطريق التي سيسلكها هنري وجنوده عند خروجه

بحملته إلى الأراضي المقدسة، وأن يجهز الموانى التي سترسو سفنه بها، وألزمه تقديم مساهمة بشرية في الحملة، وهدده إذا لم يستجب لمطالبه فإنه سيوجه حملته إلى الأراضي البيزنطة(٤٩).

ورد ألكسيوس الثالث على رسالة هنري رداً جميلاً، ووعده باستجابه مطالبه، ثم راح من جانبه يطلب الأموال لدفع ما اتفق عليه مع هنري من ضريبة، واضطر ألكسيوس إلى اللجوء إلى شعبه، وفرض عليهم ضريبة عرفت بالضريبة الألمانية German Tax أو ألمانيكون Alamanikon. وقد أثقلت هذه الضريبة كواهل الشعب البيزنطي، واحتج عليها أناس منهم، وعجز عن دفعها أناس آخرون. ولم يكن أمام ألكسيوس من سبيل آخر لتهدئة غائرة صدر هنري السادس سوى دفع هذه الضريبة، فلجأ إلى نهب خزائن الكنائس، ثم اتجه إلى انتزاع الحلي الثمينة التي زينت بها مقابر الأباطرة الراحلين، فنبش قبورهم، وجرد الموتى من زينتهم النفيسة، وكاد رجال ألكسيوس أن ينبشوا قبر قسطنطين العظيم، لولا صدور قرار إمبراطوري بإيقاف النهب(٥٠).

وأما عن هنري السادس فإن رسله عادوا إليه يحملون له رد الإمبراطور ألكسيوس الثالث بالموافقة على طلباته، فأرسل إلى أمراء ألمانيا يستدعيهم للخروج في حملته الصليبية، وأرسل إلى البابا يطلب منه أن يرسل مندوبيه إلى ألمانيا ليتولوا دعوة أهلها إلى حمل الصليب، وأبلغه أنه سوف يقوم على تجهيز كل من رغب في المشاركة في تلك الحرب، وكل فدائي من أجل مملكة بيت المقدس، وأنه سوف يزودهم بكل ما يحتاجونه من زاد ومؤن ووسائل نقل بدون أن يدفعوا شيئاً، وأنه شخصياً لن يغادر صقلية حتى يسترد بيت المقدس(٥١).

ولم يكن خافياً على ساسة بيزنطة أن الإمبراطور هنري السادس يختلف كثيراً عن الحاكمين الألمانيين السابقين كونراد الثالث وفردريك بربروسا الذين عبرا

أراضيها إلى الشرق[٥٢]، لأن هنري شاب من دونهم، ويملك من العزيمة والإصرار ما يفوقهما، ثم إنه هدد بيزنطة وقد خضعت له ألمانيا ومملكة النورمان في صقلية، وفرض سيطرته على باقي إيطاليا، وامتد نفوذه حتى جزيرة قبرص ثم أرمينية، كل ذلك جعله الأقوى من بين الحكام الألمان. ثم إن كل هذا النفوذ الذي امتلكه هنري السادس في وقت لم يكن البابا سلستين الثالث يستطيع أن يحد من نفوذه، سوى رفضه أن تكون صليبية هنري موجهة ضد بيزنطة.

وأما إذا كان البابا قد احتج على أن تكون صليبية هنري ضد بيزنطة، فإن الإمبراطور لديه من الأهداف الاستراتيجية ما يجعله يستمر في إعداد العدة لحملته. فهي لا شك سوف ترهب ألكسيوس الثالث، وتجعله يستمر في دفع الضريبة التي التزم بها لهنري، وتبقى بيزنطة تحت ضغط القوة العسكرية الألمانية الجاهزة للاعتداء عليها، ولن يجرؤ ألكسيوس الثالث على موجهة هنري إذا رآه يمد نفوذه إلى أراضي كانت بيزنطية حتى عهد قريب. وفضلاً عما سبق، فإن حملة هنري ستخرج تحت راية الصليب وهي في المقام الأول تم إعدادها لدعم النفوذ الألماني في الأراضي المقدسة، علاوة على جزيرة قبرص وأرمينية.

- خروج صليبية هنري الزائفة :

وفي مارس ١١٩٦م/ربيع الآخر٥٩٢هـ بدأت تجهيزات بعض الأمراء الألمان تكتمل، وانتظروا حتى الاحتفال بعيد الميلاد. ثم تحركت الغالبية العظمى منهم إلى موانى جنوبي إيطاليا وصقلية تحت قيادة كونراد فيتيلزبخ رئيس أساقفة مايانز Conrad of Wittelsbach (Archbishop of Mainz) ومعه مستشار الإمبراطورية كونراد كيورفورت أسقف هيلدشيم Conrad of Querfurt (Bishop of Hildesheim) وهنري برابانت Henry of Brabant وكثير من النبلاء الآخرين[٥٣]. ومع وصول القوات الألمانية إلى جنوبي إيطاليا كانت الثورة على

حكم هنري القاسي قد اشتدت بشكل خطير، وشارك هؤلاء الألمان الوافدون على صقلية في قمع تلك الثورة، فسحقت القوات الألمانية الثوار ونكلوا بعدد كبير منهم(٥٤). وألقى هنري القبض على عدد من معارضيه، وأنزل بهم صنوفاً من التعذيب تشيب من هولها الولدان، ثم قتلهم قتلة شنيعة. وأفاض المؤرخ البيزنطي نيكيتاس خونياتس(٥٥) في وصف وسائل التعذيب التي ابتكرها هنري من أجل التنكيل بمعارضيه، فوضع واحداً منهم في ماء مغلي، وألقى بآخر في نيران مستعرة، ووضع ثالثاً في كيس وقذف به في أعماق البحر. وأما قائد الثورة فقد نال حظاً وفيراً من التعذيب والسخرية حتى فاضت روحه(٥٦).والعجب هنا من الوحشية التي عامل بها هؤلاء الألمان ثوار صقلية، وما زادنا عجباً هو أن هنري وجنوده يرفعون الصليب شعاراً لحملتهم، فلا نجد توافقاً بين الشعار والفعل الذي اقترفه هؤلاء ضد إخوانهم في العقيدة، وليست هذه الحملة إلا صليبية زائفة.

وفي مستهل مارس١١٩٧م/جماد أول٥٩٣هـ بدأت بعض السفن التي تقل الصليبيين الألمان مغادرة صقلية متجهة نحو عكا، وبقي قوام الحملة في انتظار استكمال الترتيبات اللازمة. وأما الإمبراطور هنري فإنه عمل في دأب لإعداد السفن للحملة، وتوفير المؤن والذخيرة اللازمة لفرسانه. وقبل أغسطس وصلت إلى مسينا مجموعة من فرسان الراين والسكسون بقيادة هنري برانسويك Henry of Brunswick كانوا على متن أربع وأربعين سفينة، واتخذوا الطريق البحري عبر بحر الشمال ثم الأطلسي، ومنه إلى البحر المتوسط عبر مضيق جبل طارق، وانضمت هذه القوات إلى رفاقهم الذين لم يبحروا بعد. ولما كان هنري لا يرى ضرورة للخروج على رأس حملته في هذا التوقيت، فإنه أجرى جملة ترتيبات خاصة بأمور القيادة والإدارة، استعداداً لانطلاق الحملة، فوقع اختار الإمبراطور على مستشاره كونراد كيورفورت قائداً للحملة، ومعه هنري كالدن Henry of

Kalden، وأقسم المشاركون على طاعة قائدهم. ووعدهم الإمبراطور أنه سيظل مكانه في أبوليا يمدهم بكل ما يلزم. (٥٧)

ويسترعي انتباهنا هنا أن هنري لم يخرج على رأس جيشه، واكتفى بإعداده وتزويده بما يلزمه، ثم وعد جنوده بإمدادهم بفرق إضافية، وأنه سيقود هذه الفرق ويلحق بحملته إلى الشرق. ويبدو هنا أن الدعاية لخروج حملة صليبية لاسترداد الأماكن المقدسة التي استولى عليها المسلمون لم تكن إلا شعاراً زائفاً، لأنه ليس من المنطق في شيء أن ترتيبات هنري تلك، والأعداد التي خرجت في الحملة هي التي تستطيع تحقيق ما ادعاه هنري، وليس بهذا الوضع الذي خرجوا عليه بدون قائدهم من الممكن أن يستردوا الأماكن المقدسة، ثم إنه من الغريب أن يدعو الإمبراطور هنري إلى حملة صليبية ولا يخرج على رأسها. إن هنري اكتفى من هذه الحملة بتحقيق عدة أهداف أهمها تسكين جانب البابوية بمثل هذه الحملة محدودة العدد، التي لن تكلفه الكثير، كما أنها لن تضطره إلى الابتعاد عن أوربا، وبخاصة مملكة صقلية تلك البلاد الثائرة الرافضة لحكمه العنيف. واكتفى هنري من هذه الحملة بترهيب إمبراطور بيزنطة الذي حتماً سيجبر علي الاستمرار في دفع الضريبة الألمانية، واكتفى أيضاً بتحقيق أهداف محددة سعى إليها في الشرق، وهاهي قد آتت ثمرة من ثمراتها عندما توج أموري ملكاً على قبرص، وأعلن هذا الملك خضوعه للإمبراطور هنري.

وأما عن أعداد المشاركين في صليبية هنري تلك، فإنها ليست معلومة يقيناً، ولا يمكن الاعتماد هنا على التخمين الذي لا يأتي بنتيجة مرضية، وإنما يمكن الوصول إلى أعداد تقريبية. ففي البداية نجد الإمبراطور هنري يلتزم بتقديم ألف وخمسمائة فارس ومرافقيهم، ومثلهم من حملة الدروع، أي إن جملتهم حوالي ثلاثة آلاف رجل، قد يزيدون قليلاً إذا وضعنا في الاعتبار أن هناك من يقوم على تقديم

أعمال خدمية لهؤلاء الفرسان. ثم إنه جرى تحديد عدد السفن التي أقلت المشاركين الذين قدموا إلى مسينا بحراً بأربع وأربعين سفينة، وعلمنا بعدد السفن لا يساعد بحال من الأحوال في تحديد أعداد الذين على ظهورها. وأما المؤرخ الألماني المعاصر أرنولد ليوبيك Arnold of Lübeck فقد حدد أعداد هؤلاء المشاركين بستين ألف رجل(٥٨). والواقع إن أرنولد ذكر هذا الرقم مدفوعاً بعاطفته الألمانية، ولا يوجد في خط سير الحملة، ولا في نشاطها الحربي بعد ذلك ما يدعم صحة تقدير أرنولد. بل العكس هو الصحيح، فإن أعداد المشاركين في هذه الحملة كانت قليلة، ولا يمكن أبداً مقارنتها بغيرها من الحملات الكبيرة المعروفة في تاريخ الحروب الصليبية السابقة على تلك الحملة(٥٩).

وفي بداية سبتمبر ١١٩٧م/ ذي القعدة ٥٩٣هـ أبحرت الحملة الصليبية الألمانية من ميناء مسينا متجه نحو عكا. وعند جزيرة قبرص توقف مستشار الإمبراطور وكنراد رئيس أساقفة ماينز، وتابع الباقون رحلتهم تحت قيادة هنري برابانت. وفي قبرص استقبل أموري لوزينيان ضيوفه استقبالاً حسناً، وجرت هناك مراسيم تتويجه ملكاً، فوضع المستشار التاج على رأسه، وأصبح خضوع قبرصَ وملوكها لإمبراطورية هنري موضع التنفيذ. ثم غادر المستشار ورفاقه قبرص متجهين إلى عكا ليلحقوا بمن سبقوهم(٦٠). وبذلك تخلص أموري من أي وعد قد يربطه بريتشارد قلب الأسد، الذي اعتاد أخذ مبلغ من المال من قبرص منذ ان باعها لجاي لوزينيان، كما لم يعد في استطاعة إمبراطور بيزنطة تهديد الجزيرة.

وبهذه الخطوة أصبح للإمبراطور هنري السادس قاعدة في شرق المتوسط يعتمد عليها عند الحاجة. وعلى الجانب الآخر فقد نجح أموري لوزينيان في جعل قبرص مملكة له ولأسرته مستقلة عن بيزنطة، حتى وإن كانت خاضعة للإمبراطورية الغربية، فإن هنري كما رآه أموري هو الضمانة لعدم اعتداء أباطرة

بيزنطة على مملكته. ووضع أموري بهذا التتويج حداً لفكرة اعتبار قبرص ملحقة بمملكة بيت المقدس. ثم إن أموري سوف يضمن أن تبقى مملكة قبرص وراثية في ذريته. وهو مع كل ذلك سيضع كنيسة الجزيرة تحت رعاية البابوية والإكليروس اللاتيني مبتعداً بها عن نفوذ رجال الدين الأرثوذكس القادمين من القسطنطينية(٦١).

وصلت طلائع الحملة إلى عكا في أغسطس ١١٩٧م/شوال٥٩٣هـ، وأما الجيش الرئيسي فقد وصل في ٢٢سبتمبر/٨ ذي القعدة. ومن المحتمل أن بعض سفن الحملة الألمانية تعرضت لهجوم الأسطول المصري، فقد انفرد أحد المصادر بذكر هذا الخبر(٦٢)، فقال إن العزيز بن صلاح الدين الأيوبي حاكم مصر(٦٣) أرسل أسطوله المرابط في النيل والإسكندرية ودمياط إلى بلاد الفرنج، ونجح الأسطول المصري في أخذ عدة بُطَس(٦٤)، ثلاث بُطَس منهن كانوا ذاخرين بالأموال والخيّالة والعدد، وأحرقوا مركباً كبيراً. وذكر ملوك الفرنج وبطريقهم أن في هذا المركب خمسين صندوقاً موسقة ذهباً وفضة، جمعوها من سائر بلاد الفرنج في مدة سبع سنين، فغرقت في البحر، ولم يستطع المسلمون الوصول إليها من كثرة النيران، ولما انتهت المعركة أتوا بما استولوا عليه إلى الديار المصرية. والذي يدفعنا إلى الاعتقاد في أن هذه البطس تخص الحملة الألمانية هو أن العزيز حكم مصر فيما بين سنتي ١١٩٣-١١٩٨م/٥٨٩-٥٩٥هـ، وكان منشغلاً في فترة حكمه الأولى بالصراع مع أخيه الأفضل وعمه العادل(٦٥)، ولم يواجه الصليبيين سوى في الفترة الأخيرة من حكمه، وهي التي شهدت قدوم الحملة الألمانية.

ولما وصل الألمان إلى عكا اعتدوا على سكانها، وما ارتكبه هؤلاء الألمان في إيطاليا وصقلية من حماقة ارتكبوا في عكا أشد وأنكى منه. فقد اعتدوا على سكان عكا من صليبيي الشرق، وأخرجوهم من منازلهم، وأغلب هؤلاء السكان من الضعفاء؛ كبار السن والنساء والأطفال. وأما الرجال فكانوا خارج المدينة، وعندما

عادوا غضبوا أشد الغضب لما وقع لحرماتهم. ودعا بعضهم صليبيي عكا لقتال هؤلاء الألمان الوافدين حديثاً، ورد الصاع صاعين لتأديبهم عما فعلوه، وردعهم عما إذا فكروا في معاودة مثل هذه الحماقة. وجاء صوت العقل من لدن الألمان، إذ انسحبوا خارج المدينة، وأقاموا معسكرهم هناك، تجنباً لوقوع أي صدام مع صليبيي عكا(٦٦).

وما ارتكبه الألمان من اعتداء سافر على منازل أولئك الصليبيين أمر بالغ الأهمية، فإن الاعتداء في حد ذاته أزعج صليبيي عكا، وأضر بممتلكاتهم وذويهم، وما من أحد فيهم يقبل مثل هذا الأمر، ولا يقبلون أن ينزل عليهم جنود يضرونهم مثل هذا الضرر، حتى وإن ادعوا أنهم جاءوا لمساعدتهم. ثم إن اعتداءهم هذا لا شك أنه يتنافى تماماً مع شعارهم الذي هم وإمبراطورهم أعلنوه منذ خروجهم من ألمانيا.

وكان صليبيو الشرق يقودهم آنذاك هنري شامبين ملك بيت المقدس Henry of Champagne ومقر إقامته مدينة عكا عاصمة المملكة(٦٧). ولم يكونوا بحال من الأحوال راغبين في وصول هؤلاء الألمان إلى ديارهم، لأن وصولهم لا شك أنه سيفتح باب القتال مع بني أيوب وهم ليسوا على أهبة الاستعداد آنذاك. وبالفعل لم يخيب الألمان الظن فيهم، فتعجلوا بشن بعض الغارات على أراضي المسلمين. وأما عن بني أيوب حكام منطقة الشرق العربي، فإن العادل نجح في فرض سيطرته على أغلب بلاد الشام بعد أن انتزع دمشق من الأفضل ابن صلاح الدين في يوليو ١١٩٦م/ رجب ٥٩٢هـ، واكتفى العزيز بن صلاح الدين بحكم مصر(٦٨).

ولما كانت أخبار وصول حملة الألمان قد تطايرت إلى كل مكان في منطقة الشرق العربي فإن ملوك البيت الأيوبي بدأوا يستعدون للدفاع عن بلادهم. فكان الظاهر صاحب حلب(٦٩) قد توقع أن يقصد الصليبيون جبلة واللاذقية التابعتين

لحكمه[٧٠]، فأسرع إلى هدمهما حتى لا يستولي الصليبيون عليهما، ولكنهم أخلفوا ظنه ولم يأخذوا هذه الوجهة. وكان العادل قد أرسل إلى العزيز صاحب مصر يطلب مساعدته، وأرسل أيضاً إلى ديار الجزيرة والموصل وحلب[٧١]، فوصلته جنود من هذه البلاد، واجتمع بهم في أوائل سبتمبر ١١٩٧م/شوال ٥٩٣هـ ولما كان من المتوقع أيضاً أن يتوجه الألمان إلى بيروت[٧٢]، فإن العادل أرسل جنوداً من عنده ليهدموها، ووصل جنوده بالفعل إلى بيروت، وشرعوا في هدم سور المدينة، ولكن حاكم المدينة المدعو عز الدين أسامة منعهم من ذلك وتكفل بحفظها[٧٣].

ثم إن العادل قرر أن يباغت الألمان في معسكرهم، فقاد جيشه وزحف به نحو عكا. وكان الألمان قد اختاروا هنري كونت بلاتين قائداً للجيش، فلما وصل خبر زحف العادل، دب الذعر في صفوف الألمان وارتبكت صفوفهم، وعند التحام الجيشين بدا تفوق العادل جلياً للعيان، حتى إن بعض الألمان انسلوا إلى عكا. وتدارك زعماؤهم الموقف مجدداً، وأخذوا في جمع فلولهم من داخل مدينة عكا، وثبتوا في المعركة، وتصدوا للهجوم القوي الذي شنه العادل، ولكنهم عادوا إلى التقهقر. وأتيحت الفرصة للعادل ليتعقبهم حتى عكا، ولكنه اكتفى بما حققه من إرهابهم، فإذا لم يكن قد انتصر عليهم نصراً مبيناً، فإنه أخذ عدداً من الأسرى، علاوة على أنه دحرهم داخل عكا، وأفسح الطريق أمام جيشه لكي يتحرك باتجاه يافا[٧٤].

وتحرك العادل بجيشه قاصداً يافا، وكانت تحصيناتها قوية، ولكنها تفتقر إلى الرجال، ولما كان هنري شامبين يعلم ذلك فإنه وافق على الطلب الذي تقدم به أموري لوزينيان ملك قبرص يلتمس فيه تقديم يافا إقطاعاً لواحد من أتباعه يدعى بارليه، ورأى هنري شامبين أن امتلاك القبارصة يافا أفضل من امتلاك العادل لها.

واستقبل هنري الفارس القادم من قبرص استقبالاً حسناً، ومنحه يافا إقطاعاً له، وزوده بجملة نصائح تساعده في الدفاع عن المدينة. وما كاد هذا الفارس يستقر في يافا حتى داهمها العادل، وضرب عليها الحصار، وأرسل صليبيو يافا إلى هنري شامبين يطلبون مساعدته على وجه السرعة وإلا سقطت يافا في يد العادل. ونهض هنري مهموماً بتجهيز فرقة عسكرية تتجه إلى يافا لإنقاذها. وفي العاشر من سبتمبر ١١٩٧م/الرابع والعشرين من شوال ٥٩٣هـ وأثناء انشغاله بالاستعداد للخروج بالجيش، إذا بهنري يفقد توازنه وهو في شرفة قصره، فهوى إلى الأرض وحاول الأمساك بخادمه فسقطا سوياً، ولقيا مصرعهما في الحال. وأما العادل فاستولى على يافا، وقاومته قلعتها مقاومة شديدة، لعل نجدة تأتي المدافعين عنها من أخوانهم المقيمين في عكا، أو من الألمان الوافدين حديثاً. ولكن القلعة أخذت تتهاوى تحت ضربات جنود العادل، فدخلوها عنوة بعد مقتل كثير ممن كانوا يدافعون عنها، وأُسر من بقي منهم على قيد الحياة. وقدر عدد من وقع في الأسر بحوالي عشرة آلاف، وأخذ المسلمون غنائم وفيرة منها(٧٥).

- الألمان وعرش مملكة بيت المقدس :

لقد أحدثت وفاة هنري شامبين ملك بيت المقدس أزمة بين الصليبيين، وأصبح يتعين عليهم اختيار ملك آخر في ظل ظروف اشتعال القتال مع المسلمين. فكان على إيزابيلا وريثة العرش وأرملة هنري أن تتزوج مرة أخرى من رجل مناسب لعرش المملكة. وأثناء تداول الصليبيين قضية اختيار الزوج المناسب للملكة وصلت أنباء سقوط يافا في يد العادل، ما دفع الأمير الألماني هنري برابانت للخروج مسرعاً لاستعادتها، ويبدو أنه أدرك عجزه عن تحقيق ما سعى من أجله، ففضل العودة إلى عكا للمشاركة في اختيار ملك بيت المقدس القادم، ومن المحتمل أنه كان

يعلم بقرب وصول كونراد رئيس أساقفة ماينز ورفاقه الذين تأخروا في قبرص من أجل تتويج أموري لوزينيان. وفي العشرين من سبتمبر ١١٩٧م/الخامس من ذي القعدة ٥٩٣هـ وصل كونراد إلى عكا، وشارك في المناقشات والجدل الدائر حول اختيار الشخص المناسب زوجاً للملكة وشريكاً لها في العرش. وتتدخل كونراد بما يملك من شخصية قوية، ومهابة اكتسبها من وضعه في الإمبراطورية الغربية، وقربه من الإمبراطور هنري السادس، وطرح على المجتمعين اسم أموري لوزينيان ملك قبرص الذي فقد زوجته منذ وقت قريب، والذي كان قد توج بيد كونراد هذا قبل وصول الأخير إلى عكا، ووجد اقتراحه قبولاً عاماً لدى الحضور، بل لقي ترحيباً من جانب البابا الجديد إنوسنت الثالث (١١٩٧-١٢١٦م/٥٩٣-٦١٣هـ) الذي ابتهج لاتحاد تاجي مملكتي قبرص وبيت المقدس(٧٦).

ومن هنا نرى أن الألمان أصابوا توفيقاً كبيراً في الجانب الساسي دون الجانب العسكري حتى الأن، فقد ضمنوا منذ قليل تبعية أموري لوزينيان ملك قبرص للإمبراطور هنري السادس، وتبعوا ذلك بإهداء تاج مملكة بيت المقدس لنفس الرجل. هذا فضلاً عن انتظارهم لعامل الوقت فقط الذي بمروره سوف يقدمون تاجاً آخر للأمير الأرمني ليون. ولا زالت الفرصة قائمة أمام الألمان لتحقيق إنجاز عسكري يعززون به وجودهم بالشرق اللاتيني الذي بات مفتوحاً على مصراعيه أمام النفوذ الألماني.

وفي أكتوبر ١١٩٧م/ذي القعدة ٥٩٣هـ هـ تحرك الألمان بقيادة هنري برابانت نحو صيدا(٧٧)، وكان العادل قد أمر بتدمير هذه المدينة من قبل ظناً منه أنه لن يستطيع الدفاع عنها، واستولى عليها الصليبيون الألمان غنيمة باردة في الثاني والعشرين من أكتوبر. وكان العادل لما علم بتحركهم قد ترك يافا مسرعاً لمواجهتهم، فأدركهم قبل وصولهم بيروت، وجرت مناوشات بين الفريقين، وقتل

فيها جماعة من كلا الجانبين، ولم يحسم أي منهما القتال، وحجز الليل بينهما، وتفرقا على ذلك(٧٨).

وهذه المعركة سجلها هنري برابانت قائد القوات الألمانية بقلمه في الخطاب الذي أرسله إلى رئيس أساقفة اللورين يخبره بأحداث الحملة، وقال فيه :"برز لنا العادل من جانب الجبل، ومعه قادة القاهرة ودمشق على رأس جيش ضخم من المسلمين، وأحاطوا بجيشنا من خلفه حتى ساحل البحر، وهاجمونا بقوة وبلا انقطاع، وبذلت تلك الأمة الشريرة كل طاقاتها ضدنا، وحشدوا كل ما توافر لهم من قوات. فقد أرادوا إفراغ كل طاقاتهم ضدنا، والقضاء على سائر قواتنا، ولكن الله الذي يحمي المتوكلين عليه، وينقذ الضعيف من القوي، أنقذ مساكينه من أيدي الكفرة بعد تكبدهم خسائر كبيرة...وهكذا في نفس اليوم ونحن في غمرة السرور نصبنا خيامنا على نهر بالقرب من صيدا"(٧٩).

وفي اليوم التالي مباشرة، أي الثالث والعشرين من أكتوبر تحرك الألمان نحو بيروت، وخرج العادل بجيشه من دمشق لنجدتها، وعاد مجدداً يفكر في تحطيم المدينة حتى لا يستفيد منها الصليبيون، كما أمر بتحطيم قلعتها، وتولى ذلك كله أميرها عز الدين أسامة. ثم غادر أسامة المدينة فيما يشبه الفرار، وترك جماعة من رجاله للدفاع عنها، ومع اقتراب الصليبيين من المدينة خاف الجند على أنفسهم، فقد فت في عضدهم ما ارتكبه أميرهم، وآثروا النجاة بأنفسهم فولوا الأدبار. وأما السكان، فإنهم وجدوا أهل الحرب قد تركوا المدينة وفروا مذعورين، فخرجوا هم أيضاً خوفاً على أنفسهم وتركوا المدينة خالية تماماً، فاستولى الألمان عليها، ثم استولوا على قلعتها الحصينة(٨٠).

وكتب هنري برابانت في خطابه المشار إليه من قبل يصف استيلاء الألمان على بيروت، فقال إن المسلمين ذُعروا عندما شاهدوهم يقتربون من المدينة،

وهجروا قلعتها، فاستولوا عليها بلا مشقة. وقال: "وجدنا فيها من الأقواس والسهام ما لا يكاد يستطيع حمله عشرون عربة، ومن المؤن ما يكفي خمسمائة من الرجال لمدة سبع سنوات، ومكثنا بها ستة عشر يوماً"[٨١] ٢٢ابريل. وسقطت قلاع أخرى على الساحل، فاتصلت حدود مملكة بيت المقدس الصليبية بإمارة طرابلس. ولم يعد يفصلها عن إمارة أنطاكية سوى جبلة واللاذقية[٨٢]. وهذا الإنجاز يدعو الألمان للفخر بما حققوه من نصر عسكري، فقد أصبحت الطرق البحرية بين الإمارات الصليبية وبعضها البعض، وبينها وبين الغرب الأوربي آمنة بصورة كبيرة، والسيادة على الساحل السوري للصليبيين، وبخاصة بين طرابلس وعكا.

وأما أسامة أمير بيروت فقد تعرض لنقد لاذع جراء تخاذله في الدفاع عن بيروت. وأورد المؤرخون المسلمون أبياتاً من الشعر قيلت في لعنه والتشهير به وبصنيعه. فمنهم من اتهمه ببيع الحصن فقال:

إن بيع الحصون من غير حرب سُنّة سَنّها ببيروت سامهْ

لعن الله كل من باع ذا البيـــــع وأخزى بخزيه من سَامهْ

ومنهم من اتهمه بالتخاذل والإدبار في الزحف خوفاً من القتل، وطلباً للسلامة، فقيل فيه:

سَلِمْ الحصن ما عليك ملامـــــة ما يلام الذي يروم السلامهْ

فغطاء الحصون من غير حرب سُنّة سَنّها ببيروت سامهْ[٨٣]

ثم إن النويري[٨٤] أورد وثيقة مهمة عبارة عن خطاب صادر من ديوان الملك العزيز بمصر، كتبه القاضي الفاضل[٨٥] إلى أمير بيروت المتخاذل بعد استيلاء الألمان على المدينة، يلومه على خيانته، فقال فيه:"... فإذا كان من الناس من خان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فكيف لا يخون الناس الناس! وأين الموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرون في البأساء والضراء وحين البأس. والمولى –

أعزه الله بنصره، وعوضه أحسن العوض من أجره، وكتب له ثواب تسليمه إليه وصبره، ليس بأول من وثق بمَن خان، وقضية بيروت بأول مقدور...".

ونتيجة لما حققه الألمان من نصر، فإن الحماس دب في صفوفهم، وقرروا الزحف نحو بيت المقدس يقودهم رئيس أساقفة ماينز. ولكن جرت مشاورات حول هدف الحملة شارك فيها صليبيو الشرق. واتخذ قرار قضى بتغيير خط سير الحملة، فاتجه الألمان نحو قلعة تبنين أو تورون Toron[٨٦]، وأميرها آنذاك رجل يدعى حسام الدين بشارة. والراجح أن أمراء الشرق الفرنجي كانوا وراء تغيير خط سير الحملة الألمانية. لأنهم لا يرغبون في استثارة غضب المسلمين، ولأنهم يعلمون أن العادل سوف يدعو لاستنفار عام بين حلفائه من حكام المسلمين، وجمهور المسلمين عموماً، وهذا أمر ليس لهم طاقة به[٨٧].

وإذ تحرك الألمان نحو قلعة تبنين فإنه كان يتعين على رئيس أساقفة ماينز وكونراد كيورفورت مستشار الإمبراطورية الرومانية المقدسة السفر إلى أرمينية، لأنه كان مطلوباً من هذا الوفد أن يقوم بمهمة دبلوماسية بالغة الفائدة للإمبراطور هنري السادس، وهي تتوج الأمير ليون ملكاً على أرمينية. وكانت الحملة قد وصلت تبنين، وضربوا عليها الحصار في نوفمبر ١١٩٧م/ صفر ٥٩٤هـ، وشددوا حصارهم، رغبة منهم في إسقاط الحصن قبل وصول أية مساعدات قد تأتيهم من جانب المسلمين. واشتغل الألمان بهدم أسوار القلعة، واستخدموا طرقاً مألوفة لديهم، وهي حفر أنفاق عميقة، ثم أشعلوا فيها النيران، وبدأت الأسوار تتساقط. وظل الألمان يضغطون على الحصن، ويتناوبون العمل على هدمه جماعة تلو الأخرى. وأما من كانوا في الحصن فإن الذعر أخذهم عندما رأوا تهاوي بعض أجزاء السور، واستبسلوا في المقاومة لعل نجدة تأتيهم تخفف عنهم ثقل الحصار أو ترفعه، ولما لم يكن هناك بارقة أمل في أن تصلهم مساعدة، فقد تداولوا أمرهم، وعقدوا

العزم على الاستسلام، وأرسلوا إلى الألمان يطلبون التفاوض معهم. ولما جلسوا للتفاوض عرض المسلمون عليهم تسليم القلعة بكل ما فيها، وإطلاق سراح خمسمائة أسير مسيحي، مقابل تمكينهم من الخروج سالمين ليس عليهم إلا ملابسهم، واشترطوا على أنفسهم أن من وجده الألمان منهم خارجاً من القلعة يحمل ذهباً، أو جواهر، أو ملابس فاخرة، أو ما شابه ذلك زيادة على ما تم الاتفاق عليه، فلهم الحق في إعدامه(٨٨).

وجرت المفاوضات بين الجانبين، وكان نفر من الألمان قد أخذهم الكبرياء، ورفضوا شروط الاستسلام التي تقدم بها وفد حصن تبنين. ورأوا أن أخذ الحصن بالقوة يعود عليهم بالنفع، وإن قسوتهم مع أصحاب هذا الحصن هي التي ستبث الذعر في نفوس أصحاب الحصون القريبة من ذاك الحصن، ولن يفكر أحد ممن سيهاجمونهم في مقاومة الألمان. ورأى فريق آخر منهم أن قبول شروط الاستسلام يصب في مصلحتهم، وعلى عكس ما رأى السابقون، فإنهم رأوا أن استسلام هذا الحصن سيؤدي إلى تتابع استسلام الحصون القريبة منه في أيديهم. وجرى الاختلاف داخل المعسكر الألماني بين المؤيدين والمعارضين لهذا الأمر. واحتد المتعصبون من الفريقين على بعضهم، وتشابكوا فيما بينهم بالأسلحة، وانتهى اختلافهم على الموافقة على شروط الاستسلام(٨٩). وذكر ابن الأثير أن بعض فرنج الشام، أي الصليبيون المقيمون في الشرق، أبلغوا وفد أصحاب الحصن أن هؤلاء الألمان لن يدعوهم يخرجون سالمين، فإذا ما استسلموا فإنهم قاتلوهم لا محالة، ثم نصحوهم بالاستبسال والدفاع عن أنفسهم. وتابع ابن الأثير روايته قائلاً أن هذا الوفد اضطر إلى التظاهر باستمرار التفاوض مع الألمان حتى لا يصيبهم أذى. ولما عادوا إلى الحصن دافعوا عن أنفسهم دفاعاً مستميتاً(٩٠). وسياق الأحداث بعد ذلك يرجح صحة ما قاله ابن الأثير، كما يؤكد ما هو معروف عن سياسة صليبيي

الشرق الفرنجي تجاه الصليبيين الوافدين حديثاً من الغرب الأوربي. فإن فرنج الشام لا يرغبون في قدوم جماعات قليلة العدد، عديمة الجدوى، لأنهم يضربون السلام مع المسلمين في مقتل بمجرد وصولهم، وغالباً ما يكون صليبيو الشرق في حاجة إلى فترة من السلام يلتقطون فيها أنفاسهم، فهم معروفون بتعصبهم الأعمى ضد كل ما هو شرقي.

وأما العادل الأيوبي فإنه كان يتابع ما يجري حول تبنين، وأخذ في تجهيز جيشه، وفي ذات الوقت أرسل إلى العزيز صاحب مصر يطلب حضوره على وجه السرعة لإنقاذ هذا الحصن. واستجاب العزيز لدعوة العادل، وخرج من مصر على رأس جيشه، وفي أول ربيع الأول ٥٩٤هـ/الحادي عشر من يناير ١١٩٨م وصل عسقلان(٩١)، ثم تحرك إلى جبل الخيل الذي يعرف بجبل عاملة، وانتظر هناك قليلاً، وكانت بعض المناوشات تجري بين جنوده والألمان، واستمرت حالة الاستنفار والترقب بين الجانبين حتى الثالث عشر من نفس الشهر، ثم شرع العزيز في الزحف نحو الألمان، وقد تأهبوا للمعركة. ووردت أنباء إلى المعسكر الألماني بوفاة الإمبراطور هنري السادس في ٢٨ سبتمبر ١١٩٧م/٢٤ ذو القعدة ٥٩٣هـ، وتبعاً لوفاته اندلعت الحرب الأهلية في إمبراطوريته. وهذه الأنباء فتت في عضد الألمان، وترك كبار الأمراء المعسكر، وانتشرت الفوضى في جموع الألمان، وانسحبوا فارين من أمام الحصن في الثاني من فبراير ١١٩٨م/الثالث من ربيع الآخر ٥٩٤هـ بعدما استمر حصارهم لتبنين مدة شهرين وسبعة أيام، واتجهوا إلى صور، ومنها إلى عكا. وتعقبهم جيشي العادل والعزيز يلتقطون من ظفروا به منهم، فأخذوا من الألمان أسرى كثيرين(٩٢).

وبعد عدة أيام ركب الألمان سفنهم عائدين إلى وطنهم، وتخلف بعضهم في الشرق وفضلوا البقاء في الأراضي المقدسة مع بني جلدتهم من الألمان قدامى

الهجرة. وانضم هؤلاء إلى المستشفى الألماني القائم بالفعل على خدمة الحجاج الألمان، وهذا المستشفى كان يحظى برعاية الإمبراطور هنري السادس، فمنحه أملاكاً في إيطاليا وصقلية. ومن الواضح أن هنري كان يخطط للاستفادة من هذه الجماعة الألمانية في الأراضي المقدسة، وخاصة عند استقبالهم للحملة الألمانية. فهي لا شك ستكون نقطة ارتكاز للألمان هناك، ولكن وفاة الإمبراطور لم تجعله يرى ثمرة جهده. ولما كان كبار الأمراء في الحملة الألمانية وعلى رأسهم كونراد مستشار الإمبراطورية يدركون ما لهذه الجماعة من قيمة كبيرة في تحقيق الأهداف الألمانية في الشرق الفرنجي، فإنهم شاركوا في تدعيمهم. وفي مارس ١١٩٨م/ربيع أخر ٥٩٤هـ عقد اجتماع ضم عدداً من أمراء ورجال الدين الألمان مع نظرائهم من صليبيي الشرق وقرروا تحويل المستشفى الألماني إلى جماعة عسكرية. واعترف ملك بيت المقدس ثم البابا بهذا الكيان الألماني الجديد، وعرفت بجماعة الفرسان التيوتون، فجاءت صليبية الطابع وألمانية الطبيعة [٩٣].

وأما عن المعسكر الإسلامي، فإن العزيز عاد إلى مصر، وترك أمر الصليبيين لعمه العادل، ولم يكن العادل راغباً في استمرار القتال مع الصليبيين، ولكنه كان حريصاً على أن يبادروه بطلب الصلح، فتوالت غاراته على بلادهم، حتى أزعجهم بتلك الغارات، فأرسل أموري ملك بيت المقدس وقبرص يطلب المهادنة. وجرت المراسلات بين الطرفين، وانتهت المفاوضات في يونيو ١١٩٨م/ شعبان ٥٩٤هـ على توقيع هدنة مدتها ثلاث سنوات[٩٤].

وأما الوفد الألماني رفيع المستوى الذي ترأسه كونراد رئيس أساقفة ماينز فقد وصل إلى مدينة سيس[٩٥] عاصمة الأرمن، وفي السادس من يناير ١١٩٨م/الثالث والعشرين من صفر ٥٩٤هـ جرت مراسيم تتويج ليون ملكاً على الأرمن. وهذا التتويج تأخر بعض الوقت حتى تم تسوية بعض الخلافات الدينية بين الكنيسة

الأرمنية وكنيسة روما. فكان ليون مدفوعاً برغبة شديدة لاعتباره ملكاً، وقَبِلَ تاجاً من الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الثالث أنجيلوس، ولكنه كان تاجاً رمزياً وتشريفياً، ولا يعني ترقية هذا الأمير إلى رتبة الملوك. وانتظر ليون التاج الألماني بلهفة شديدة، ويبدو أنه سعى نحو إقامة علاقة أكثر عمقاً مع الغرب، وبخاصة مع الألمان، وبعيداً عن بيزنطة، فلازال الأرمن يحتفظون بذكريات طيبة عن الألمان منذ حملة الإمبراطور فردريك بربروسا، ولأن هذا التتويج سوف يضع ليون على قدم المساواة مع أمراء الشرق اللاتيني. وظهر ذلك واضحاً من خلال الاحتفالات الضخمة التي أقامها الأرمن في عاصمتهم عند تتويج ليون(٩٦).

وأخيراً، فإن الحملة الصليبية الألمانية توقفت عن العمل بمجرد سماع رجالها خبر وفاة الإمبراطور هنري السادس. وإذا كانت هذه الحملة قد حققت إنجازاً فإنه كان ملموساً على الصعيد السياسي أبرز مما تحقق على الصعيد العسكري. فإن الألمان ضمنوا ولاء ملك قبرص الذي ضم إلى تاجه مملكة بيت المقدس، ثم توجوا ملك أرمينية، فضلاً عن دعمهم لجماعة الفرسان التيوتون الألمانية في الأراضي المقدسة. وعسكرياً فإنهم استولوا على صيدا وبيروت، في الوقت الذي تسببوا فيه في خسارة يافا.

وبعد، فقد رأينا أن الإمبراطور هنري السادس الألماني سعى منذ توليه الحكم إلى إعادة مجد الإمبراطورية الرومانية، وإكسابها الصفة العالمية من خلال مد نفوذه على مساحات شاسعة وبعيدة، ففرض سلطان إمبراطوريته على إيطاليا، ومملكة النورمان في أبوليا وصقلية، واعترف بسيادته حكام كل من إنجلترا، وقبرص، وأرمينية، وأخيراً إمبراطور بيزنطة.

ورفع هنري الصليب شعاراً لحملته التي توجهت إلى الأراضي المقدسة، ولكن شعاره كان خادعاً، فلم يكن هنري يؤمن بالحرب المقدسة بالدرجة التي تجعله يبعث

بحملة ألمانية إلى تلك الأراضي البعيدة التي تأتي في آخر أولوياته. بل رأيناه يجهز هذه الحملة ليحقق من ورائها أهدافه الخاصة بالطموح الإمبراطوري.

وجاءت سياسة هنري لتؤكد توجهاته؛ فلم يكن متعاطفاً مع الحروب الصليبية، ولا شارك فيها. وها هو يلقي القبض على ريتشارد قلب الأسد، ويدعه في سجنه قرابة العامين، على الرغم من أن ريتشارد ملك صليبي. ولم يشغل هنري باله بالوضع المرموق الذي يتمتع به ريتشارد كونه ملكاً صليبياً، بقدر ما انشغل هنري بالانتقام منه لأسباب أخرى تتعلق بنفوذه في أبوليا وصقلية.

ولم يأبه هنري بغضب البابوية طالما كان الجالس على عرشها رجل كهل هو البابا سلستين الثالث ولا يستطيع مجابهته. ونجح هنري إلى حد كبير في مناوراته مع البابوية، ففي الوقت الذى اعتدى فيه على مصالح البابوية في إيطاليا، راح يقدم لها تنازلات في ألمانيا، فانتهج سياسة تجاهها بين اللين تارة والشدة تارة أخرى. فاستخدم حملته الصليبية في مناوراته مع البابوية، كما استخدمها في الضغط على بيزنطة، هذا فضلاً عن استخدامها لدعم النفوذ الألماني في الأراضي المقدسة.

ثم إنه من المستحيل أن نعتبر هذه الحملة صليبية بالمعنى الكامل لصليبية هذه الفترة؛ لأن هنري لم يخرج فيها، ولم يكن عدد المشاركين فيها كافياً بالقدر الذي يجعلهم يحققون نجاحاً ملموساً في الشرق. ثم إن الألمان خرجوا بحملتهم وهم يحملون مخططاً سياسياً لتنفيذه؛ وهو تتويج حاكمي قبرص وأرمينية.

وجاءت صليبية هنري لتخدم مشروعه الإمبراطوري، فلم يكن البابا راضياً عن تلك الحملة عندما استخدمها هنري لتهديد بيزنطة. فكانت حملة ذات طابع ألماني؛ فرسانها ألمان، وراعيها ألماني، وأهدافها ألمانية.

هوامش البحث

(١) فردريك الأول بربروساFrederick Barbarossa ولد عام ١١٢٢م، وتولى حكم ألمانيا في عام ١١٥٢م، ثم توج إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة في عام ١١٥٥م. وهو واحد من أقوى حكام ألمانيا وأوربا جميعاً في عالم العصور الوسطى، فقد سعى لإحياء الإمبراطورية الرومانية القديمة، وقاتل من أجل سمو الأمبراطورية على البابوية. وتوفي فردريك في عام ١١٩٠م هو بصحبة جيشه متجهاً إلى قتال المسلمين في بلاد الشام.

- The Crusades, An Encyclopedia, ed. Murry, A. V., 4 vols., London, 2006, vol. 2, p. 472-475.
- Medieval Germany, an Encyclopedia, ed. Jeep, J. M., London, 2001, Art. Frederick Barbarossa.

(2) Anonymous, La Contintion de Guillaume de Tyre (1184-1197), par Margaret Ruth Morgan, Paris, 1982.

اعتمدت على الترجمة العربية للدكتور حسن حبشي بعنوان "ذيل وليم الصوري" لمؤرخ مجهول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، ص١٧١-١٧٢.

- Anonymi Rhenani Historia et Gesta Ducis Gotfridi, Recueil des Historiens des Croisades, Historeins Occidentaux, (R. H. C. H. Occ.), Paris, 1895, tome 5, p. 523.
- Choniates, N., O City Of Byzantium, Annals Of Niketas Coniates, Translated by Harry J. Magoulias, Detroit, 1984, p. 261.

(3) Gotifredi Viterbiensis Opera, Georgius Waitz P.P., Monvmenta Germaniae Historica, G.H. Pertz, Hannover, 1872, 22. pp. 21, 103.

(4) Austine Lane Poole, The Emperor Henry VI, in Cambridge Medieval History, New York, 1926, vol. 5, p. 479.

- باراكلاف، الإمبراطورية في العصور الوسطى، فكرة وحقيقة، ت جوزيف نسيم يوسف، ضمن كتاب "الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى"، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٦، ص٢٤٣.

- فيشر، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ت محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، ط٦، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ق١، ص٢٠٨.

(5) Lamb, H., The Crusades, The Flame of Islam, New York, 1931, p. 210.
- Abulafia, D., Frederick II A Medieval Emperor, Oxford, 1988, p. 97.

- سعيد عبدالفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى، التاريخ السياسي، ط٧، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨، ج١، ص٢٧٦.

(6) Henderson, E. F., A History of Germany in the Middle Age, London, 1894, p. 285.
- Stubbs, W., Germany in the Later Middle Ages, 1200-1500, ed. Hassall, A. M. A.,

London, 1908, p. 22.

– فيشر، المرجع السابق، ص٢٠٦

– سعيد عاشور، المرجع السابق، ج١، ص٢٧٦.

– عادل عبدالحافظ حمزة، العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، ص٢١٢.

(٧) هنري الأسد دوق سكسونيا وبافاريا، وعميد البيت الولفي(الجولفي)، والمنافس القوي والعنيد للهوهنشتاوفن. ولد حوالي ١١٢٩/١١٣٠م، وتوفي في أغسطس ١١٩٦م.

- Medieval Germany, an Encyclopedia, Art. Henry the Lion.

– وأما الجبلينيون Ghibellines فهم دوقات سوابيا بالجنوب الغربي من ألمانيا منذ أوائل القرن الثاني عشر الميلادي، والاسم في الأصل مأخوذ من اسم معقل إقطاعي لأسرة هوهنشتاوفن Hohenstaufen ، ثم أصبح يطلق على دوقات هذه الأسرة فضلاً عن اسمهم الأصلي. والجولفيون Guelfs هو الاسم الذي أطلق على دوقات سكسونيا بشمالي ألمانيا أواسط القرن الثاني عشر، وهو في أصله مأخوذ من اسم أحد دوقات هذا الإقليم. ومع الصراع بين البابوية والإمبراطورية ممثلة في أسرة هوهنشتاوفن أصبح اسم الجبلينيين مرادفاً لأنصار الإمبراطورية، في حين صار اسم الجولفيين مرادفاً لأنصار البابوية. وبعد انتهاء الصراع بين البابوية والإمبراطورية، بقى الاسمان فى إيطاليا فى القرن الرابع عشر الميلادي للتدليل على الحروب الداخلية بين المدن الإيطالية.

- Medieval Germany, an Encyclopedia, Art. Guelph Treasure & Hohenzollern.

– فيشر ، المرجع السابق، ص١٩٦، ح١.

(٨) هنري الثاني ملك إنجلترا، هو ابن الملك هنري الأول من زوجته ماتيلدا، ولد في سنة ١١٣٣م، ونجح في الوصول إلى حكم إنجلترا سنة ١١٥٤م، وتوفي وهو ملك في سنة ١١٨٩م.

- The Crusades, An Encyclopedia, vol. 2, p. 566.

(9) Henderson, op. cit., p. 290.

- Edger, N. J., the Crusades of Frederick Barbarossa and Henry VI, in A History of the Crusades, ed. Setton, 6vols., London, 1969-1989, vol. 2, p. 116.

– رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ت السيد الباز العريني، ط٣، بيروت، ١٩٩٣، ج٣، ص٣٢.

(10) Edger, op. cit., Setton, vol. 2, p. 116.

(١١) حاكم قبرص آنذاك هو أموري لوزينيان Aimery of Lusignan ثاني حكام قبرص من اللاتين بعد أخيه جاي، تولى حكم قبرص بين عامي ١١٩٤–١٢٠٥م، وجمع معه تاج مملكة بيت

المقدس الصليبية بزواجه من الملكة إيزابيلا منذ عام ١١٩٧م حتى وفاته في عام ١٢٠٥م.
- The Crusades, An Encyclopedia, vol. 1, p. 24.
– وحاكم أرمينية هو الأمير ليون الأرميني Leon of Armenia وكان أميراً على أرمينية منذ عام ١١٨٧م. ثم توج ملكاً بيد سفراء الإمبراطور هنري السادس الألماني في عام ١١٩٨م، وحمل لقب ليون ملك أرمينية إلى أن توفي في عام ١٢١٩م.
- The Crusades, An Encyclopedia, vol. 3, p. 722.
(١٢) البابا سلستين الثالث، هو بورن جياسنتو بوبو Born Giacinto Bobo ولد في سنة ١١٠٦م. وفي شيخوخته وصل إلى الكرسي البابوي في أبريل ١١٩١م، وبقي عليه حتى توفي في يناير ١١٩٨م.
- Richard, P. Mcbrien, the Pocket Guide to the Popes, HarperCollens e-books, pp. 193-194.
- Maxwell-Stuart, P. G., Chronicle of the Popes, London, 1997, pp. 101-102.
(١٣) ريتشارد قلب الأسد هو ابن هنري الثاني ملك إنجلترا، وأمه إليانور الأكوتينية Eleanor of Aquitaine ، ولد في ١١٥٧م، وتولى حكم إنجلترا في ١١٨٩م، وشارك في الحملة الصليبية الثالثة، واستولى على جزيرة قبرص وهو في طريقه إلى بلاد الشام. وظل ملكاً حتى أصيب بسهم في إحدى مغامراته فأودى بحياته في أبريل ١١٩٩م.
- The Crusades, An Encyclopedia, vol. IV, pp. 1031-1034.
(١٤) فيليب أغسطس هو ابن لويس السابع ملك فرنسا، وأمه أديلا ابنة كونت ثيبوت الثاني كونت شامبين. ولد في ١١٦٥م، وتولى حكم فرنسا في الفترة من ١١٨٠م حتى وفاته في ١٢٢٣م.
- The Crusades, An Encyclopedia, vol. III, pp. 950-951.
- Medieval France, An Encyclopedia, ed. William W. Kibler & Others, London, 1995, p. 1370.
(١٥) رنسيمان، المرجع السابق، ج٣، ص١٤٢.
– سعيد عاشور، المرجع السابق، ج١، ص٢٤٨.
(16) Richard of Devizes, Chronicle of Devizes, concerning the Deeds of King Richard the First, King of England, London, 1848, pp. 15-19.
- Geoffrey of Vinsauf, Chronicle of Richard the First's Crusade, London, 1848, pp. 172-174.
- Ernoul, Chronique D' Ernoul et De Bernard le Tresoier, M. L. De Mas Latrie, Paris, 1871, pp. 268-269.
- Recueil d' Annales Angévines et Vendômoises, Paris, 1903, p. 19.
- Anonymi Rhenani Historia, (R. H. C. H. Occ.), 5, p. 524.

– وأما تانكرد Tancred of Lecce فهو دوق مقاطعة ليتشي في جنوبي إيطاليا، وابن عم غير شرعي لوليم الثاني ملك صقلية المتوفى في عام ١١٨٩م. سانده البابا كلمنت الثالث في الوثوب على عرش صقلية بعد وفاة الملك وليم الثاني، حتى لا يؤول حكمها إلى كونستانس عمة وليم الثاني وزوجة هنري السادس الألماني. وتوفي تانكرد في عام ١١٩٤م.

– رنسيمان، المرجع السابق، ج٣، ص٧٩–٨٠.

- Austin Lane Poole, op. cit., 5, p. 461-463.

(١٧) إسحق دوكاس كومنين Isaac Doukas Komnenos ينتمي إسحق هذا إلى أسرة كومنين البيزنطية الشهيرة، ولد في عام ١١٥٥م، وتولى حكم قيليقية، ثم انتقل إلى حكم قبرص في عام ١١٨٤م، وفي حوالي عام ١١٨٦م أو ١١٨٧م انفصل بجزيرة قبرص عن بيزنطة. وفي عام ١١٩١م انتزع ريتشارد قلب الأسد الجزيرة منه، وألقى القبض عليه، وظل في السجن إلى أن قتل في عام ١١٩٤م.

- The Oxford Dictionary of Byzantium, ed. Alexander P.Kazhdan & Others, Oxford, 1991, vol. II, p. 1012.

(18) Richard of Devizes, op. cit., pp. 37-39.

- Geoffrey of Vinsauf, op. cit., pp. 192-195.

- Ernoul, op. cit., pp. 270-273.

- L'Estoir d' Eracles Empereur et la conqueste de la Terre D' Outremer, R. H. C. H. Occ., 2, pp. 160-170.

- Gesta Regum, Gervasii Cantuariensis Opera, Historical Works of Gervase of Canterbury, ed. W. Stubbs, Kraus Reprint, Oxford, 1965, p. 90.

- Vartan, Extrait de L' Histoire Universelle de Vartan Le Grand, R. H. C. H. Arm., Paris, 1869, 1, p. 441.

(١٩) جاى دى لوزنيان شاب فرنسى، جاء إلى مملكة بيت المقدس الصليبية للزواج من سبيلا أخت الملك بلدوين الرابع وأرملة وليم بن وليم دى مونتفرات. وتوج ملكاً على بيت المقدس مع زوجته سبيلا، وقاد الصليبيين فى معركة حطين فى عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، ووقع أسيراً فى يد صلاح الدين الأيوبى. وأنعم عليه صلاح الدين بإطلاق سراحه، فأصبح ملكاً بلا مملكة، واشترك جاى مع ريتشارد قلب الأسد فى حروبه ضد صلاح الدين، وعندما عزم ريتشارد على العودة إلى أوربا أقطع جاى جزيرة قبرص مقابل مبلغ من المال، وعلى هذه الجزيرة أسس جاى مملكة لوزنيان.

– وليم الصورى، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشى، ٤أجزاء، القاهرة، ١٩٩١–

١٩٩٥م، ج٤، ص٢٥٤.

– مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصورى، ص١٥٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .

- Itinerarium Peregrinorum et Gesta Ricardi, Rolls Series,ed. W. Stubbs, London, 1864.

اعتمدت على ترجمة حسن حبشي لمؤرخ مجهول بعنوان"الحرب الصليبية الثالثة، صلاح الدين وريتشارد"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ج١، ص٨٥؛ ج٢، ص١٧٦.

وترجم هذا الكتاب للألمانية والإنجليزية :

- Mayer, H. E., Das Itinerarium Peregrinorum. Eine zeitgenössische englische Chronik zum dritten Kreuzzug in ursprünglicher Gestalt. Stuttgart: Anton Hiersemann, 1962.
- Helen J. Nicholson, The Chronicle of the Third Crusade: The Itinerarium Peregrinorum et Gesta Regis Ricardi. Aldershot: Ashgate, 1997.
- Richard of Holy Trinity, Itinerary of Richard I and others to the Holy Land, trans, by A Classical Scholar and Gentleman Well-Read in Medieval History, Cambridge, Ontario, 2001.

(٢٠) العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، قدم له حامد زيان غانم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٦٠٣.

– ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٤، ص٣٤٧-٣٤٨.

– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط٦، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج٩، ص٢٢١-٢٢٢.

– مؤرخ مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص٢٦٦-٢٦٧.

– مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص٢٢١-٢٢٢، ٢٣٨.

(٢١) ليوبولد الخامس دوق أوستريا(النمسا) Leopold V of Austria ، ولد عام ١١٥٧م، وأصبح دوقاً لأوستريا في عام ١١٧٧م، ثم دوقاً لاستريا Styria في عام ١١٩٢م. وشارك في الحملة الصليبية الثالثة، وتوفي في عام ١١٩٤م.

- The Crusades, An Encyclopedia, vol. III, pp. 722-723.

(٢٢) مؤرخ مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص٢٨٠-٢٨٢.

– مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص٢٤١، ٢٦٤.

- Burchardi Praepositi Urspergensis Chronicon, Monumenta Germaniae Historicis, Scriptores Rerum Germanicarum, Z. Auflage, Hannover, 1916, 16, p. 72.
- L'Estoir d' Eracles, 2, pp. 201-202.
- Ernoul, op. cit., pp. 297-299.
- Gesta Regum, p. 90.

- Geoffrey of Vinsauf, op. cit., p. 339.
(23) L'Estoir d' Eracles, 2, pp. 203-206.
- زينب عبدالمجيد عبدالقوي، الإنجليز والحروب الصليبية في الفترة من ١١٨٩-١٢٩١م، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، د.ت، ص١٣٨.
(24) Gesta Regum, p. 91.
(٢٥) إليانور الأكوتينية Eleanor of Aquitaine هي ابنة وليم العاشر دوق أكوتين William X of Aquitaine ، ولدت في عام ١١٢٢م، وتزوجت لويس السابع ملك فرنسا Louis VII من عام ١١٣٧حتى طلقها في عام ١١٥٢م، ثم تزوجت هنري الثاني ملك إنجلترا، وأنجبت منه أربعة أبناء هم: هنري Henry، وريتشارد Richard الذي أصبح ملكاً على إنجلترا(١١٨٩-١١٩٩م)، وجيفري Geoffroi، ويوحنا Jhon ملك إنجلترا(١١٩٩-١٢١٦م). وتوفيت إليانور عام ١٢٠٤م.
- Medieval France, An Encyclopedia, p. 601-603.
(26) Labande, E. R., Pour une image véridique d' Aliénor d' Aquitaine, Bulletin de la Société des Antiquaires de l' Ouest, 4th Série, 2, Poitiers, 1952, pp. 221-222.
(٢٧) مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص٢٤٢-٢٤٣.
- مؤرخ مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص٢٨٥-٢٨٦.
- روجر وندوفر، ورود التاريخ، ت سهيل زكار ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، ٢٠٠٠، ج٣٩، ص٤٠٦.
- Gesta Regum, p. 90.
- Labande, op. cit., p. 220.
- Abulafia, op. cit., p. 79.
- زينب عبدالمجيد، المرجع السابق، ص١٣٨.
- محمد دسوقي محمد حسن، العلاقات السياسية الفرنسية الإنجليزية وأثرها على الحروب الصليبية في المشرق والمغرب الإسلاميين(١١٣٧-١٢٢٣م/٥٣١-٦٢٠هـ)، ماجستير غير منشور، إشراف أ.د/علي أحمد محمد السيد، كلية الآداب بجامعة الإسكندرية(فرع دمنهور)، ٢٠٠٦، ص١٩٩.
- واختلفت المصادر سابقة الذكر في تحديد قيمة الفدية التي استقرت عليها المفاوضات بين هنري وإليانور، وقدر المبلغ ما بين مائتي ألف مارك فضة ومائة وخمسين ألفاً ومائة ألف.
(٢٨) الحرمان الكنسي The Excommunication ، هو قرار يصدره البابا كعقاب ضد أحد رعاياه. وتطورت قرارات الحرمان في العصور الوسطى حتى أصبحت على درجتين؛ قرارات

صغرى، وهي تحرم الفرد من أداء الشعائر الدينية. وقرارات كبرى، تبعد المسيحي تماماً عن الإيمان، وتحرمه من كل ما يتعلق بالمسيحية. عادل عبدالحافظ حمزة، الحرمان الكنسي في العصور الوسطى حتى نهاية النصف الأول من القرن ١٣م (أصوله، أنواعه، استخدامه، ونتائجه)، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد الخامس، يناير، ١٩٩٩م، ص٤٢٥ – ٤٥٣.

(29) Annales Londonienses and Annales Paulini, ed. W. Stubbs, Rolls Series, Kraus Reprint, London, 1965, vol. 76, p. 3.

– وندوفر، المصدر السابق، ج٣٩، ص٤١١-٤١٣.

(٣٠) باراكلاف، المرج السابق، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٣١) البابا كلمنت الثالث Clement III هو بورن باولو سكولاري Born Paolo Scolari . تولى البابوية في ديسمبر عام ١١٨٧م حتى توفي في مارس ١١٩١م.

- Mcbrien, op. cit., pp. 192-193.
- Maxwell-Stuart, p. 100.

(32) Arnoldi Chronica Slavorum, Monumenta Germaniae Historica, Scriptores Rerum Germanicarum, G. H. Pertz, Hannover, 1868, 14, pp. 151-152.

- Burchardi Praepositi Urspergensis Chronicon, 16, p. 71.
- Amadi, Chronique D' Amadi et de Strambaldi, par M. R. De Mas Latrie, Paris, 1891, 1 , p. 88.
- Choniates, op. cit., p. 261.
- Stubbs, op. cit., p. 23.

(33) Austin Lane Poole, op. cit., 5, p. 473.

- Lamb, op. cit., p. 211.

– سعيد عبدالفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج١، ص٣٧٦، ٣٧٨.

– إسحق عبيد، روما وبيزنطة، من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة القسطنطينية ٨٦٩-١٢٠٤م، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠، ص٢٩٩.

– حسن عبدالوهاب حسين، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة، حوالي ١١٩٠-١٢٩١م/٥٨٦-٦٩٠هـ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ت، ص٦٦، ح٩٨.

(٣٤) مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص٢٦٣-٢٦٤.

- Burchardi Praepositi Urspergensis Chronicon, , 16, p. 72.
- Choniates, op. cit., p. 261.
- Lamb, op. cit., p. 210.
- Abulafia, op. cit., pp 80.

– فيشر، المرجع السابق، ج١، ص٢٠٨.

- عادل عبدالحافظ حمزة، المرجع السابق، ص٢١٣.
- صلاح ضبيع، المرجع السابق، ص٢٣٥-٢٣٦.
- أحمد رشاد محمد أحمد، مملكة نيقية البيزنطية وعلاقاتها بالشرق الإسلامي والغرب اللاتيني ١٢٠٤-١٢٦١م، ماجستير غير منشور بآداب المنيا، إشراف أ د/زبيدة محمد عطا، ١٩٩٩، ص٤٨.

(38) Choniates, op. cit., p. 264.
- Austin Lane Poole, op. cit., 5, 473.
- Lamb, op. cit., p. 211.
- Vasiliev, op. cit., 2, p. 450.
- Ostrogorsky, History of the Byzantine State, New Jersey, 1957, p. 366.

- ماير، المرجع السابق، ٢، ص٢٠٤.

(39) Choniates, op. cit., p. 261.
(40) Annales Marbacenses, R. Wilmans, Monvmenta Germaniae Historica, G. H. Pertz, Hannover, 1925, 17, p. 166.
- Annales Colonnienses Maximi, Karolus Pertz, Monvmenta Germaniae Historica, G. H. Pertz, 17, pp. 803-804.

- مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص٢٦٥-٢٦٦.

(41) Austin Lane Poole, op. cit., 5, 474.
- Edger, op.cit., Setton, 2, p. 118.

- ماير، المرجع السابق، ٢، ص٢٠٤.
- إسحق عبيد، المرجع السابق، ص٢٩٩.

(٤٢) إسحق الثاني أنجليوس Isaac II Angelos هو أحد أباطرة بيزنطة من أسرة أنجيلوس. ولد في عام ١١٥٦م، وتولى عرش بيزنطة في عام ١١٨٥م، وفي عام ١١٩٥م خلعه أخوه ألكسيوس الثالث Alexios III. ولفترة قصيرة عاد إلى العرش في صورة دراماتيكية مع غزو اللاتين القسطنطينية في عام ١٢٠٣م حتى وفاته في ١٢٠٤م.

- The Oxford Dictionary of Byzantium, , vol. II, p. 1012.
(43) Choniates, op. cit., p. 261.
- Annales Marbacenses, 167.

- مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص٢٦٦.

(44) Choniates, op. cit., p. 261.

- ذكر خونياتس أحداث هذه المفاوضات في سنة ١١٩٦م.

- Hussey, J. M., Byzantium and the Crusades 1081-1204, in Setton, 2, p. 149.

- Vasiliev, op. cit., 2, p. 448.
- Ostrogorsky, op. cit., p. 365.
(45) Choniates, op. cit., pp. 261-262.
- Austin Lane Poole, op. cit., 5, 473.

- إسحق عبيد، المرجع السابق، ص٣٠١.

- الشيخ، المرجع السابق، ص٣٨٦.

- ألكيسوس الثالث Alexios III Angelos أخو الإمبراطور إسحق الثاني أنجيلوس، ولد في عام ١١٥٣م، نجح انقلابه على أخيه ألكسيوس فتولى العرش في عام ١١٩٥م، وأسقطه الصليبيون في عام ١٢٠٣م بعد غزوهم القسطنطينية، وفر هارباً منهم، ومات في نيقية عام ١٢١١م أو ١٢١٢م.
- The Oxford Dictionary of Byzantium, , vol. I, pp. 64-65.
(46) Edger, op.cit., Setton, 2, p. 119.

- هسي، العالم البيزنطي، ت رأفت عبدالحميد، ط٢، دار المعارف، ١٩٨٥، ص٢٠٣.

(47) Choniates, op. cit., p. 261.
- Vasiliev, op. cit., 2, p. 449.
- Ostrogorsky, op. cit., p. 366.

- ماير، المرجع السابق، ٢، ص٢٠٤-٢٠٥.

(48) Annales Marbacenses, 167.
- Amadi, Chroniques D' Amadi, 1, p. 88.
- Guiragos De Kantzag, Extrait L' Hisroire D' Arménie, R. H. C. H. Arm., Paris, 1869, 1, p. 422.
(49) Choniates, op. cit., p. 262.

- مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص٢٦٦-٢٧٠.

(50) Choniates, op. cit., p. 262-263.

- مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص٢٧١.

- Vasiliev, op. cit., 2, p. 449.
- Ostrogorsky, op. cit., p. 412.

(٥١) مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص٢٧١-٢٧٢.

(٥٢) كونراد الثالث Conrad III of Germany هو ابن فردريك الأول دوق سوابيا المتوفى في عام ١١٠٥م. ولد كونراد عام ١٠٩٣م، وأصبح ملكاً على ألمانيا عام ١١٣٨م، وشارك في الحملة الصليبية الثانية بين سنتي ١١٤٧-١١٤٩م، ومات في عام ١١٥٢م.
- The Crusades, An Encyclopedia, vol. I, pp. 270.

(٥٣) كونراد فيتيلزبخ Conrad of Wittelsbach هو رئيس أساقفة ماينز من عام ١١٦١-١١٦٥م، ثم مرة أخرى من عام ١١٨٣-١٢٠٠م، ورئيس أساقفة سالزبرج Salzburg بين عامي

- The Crusades, An Encyclopedia, vol. I, p. 96.
(59) L'Estoir d' Eracles, 2, pp. 209-210.
- Ernoul, op. cit., pp. 302.
- مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص٢٧٢.

(60) Annales Marbacenses, pp. 167-168.
- L'Estoir d' Eracles, 2, pp. 212, 219-220.
- Ernoul, op. cit., pp. 302-303.

(٦١) إدبيوري، قبرص والحروب الصليبية، ط١، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧، ص٤٧-٥١.

- سعيد عبدالفتاح عاشور، قبرس والحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ٢٠٠٢، ص٣٤.

- إسحق عبيد، المرجع السابق، ص٢٩٩-٣٠٠.

(٦٢) محمد بن محمد الأصفهاني، ويعرف بالعماد (غير العماد الكاتب)، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، نشره سهيل زكار ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، ١٩٩٥، ج١١، ص٣٩٤.

(٦٣) العزيز هو عماد الدين أبو الفتح عثمان بن صلاح الدين الأيوبي. ولد في ثامن جمادى الأولى سنة ٥٦٧هـ، واستقل بحكم مصر بعد وفاته أبيه، حتى توفي بالقاهرة في الحادي والعشرين من المحرم سنة ٥٩٥هـ.

- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٣، ص٢٥١-٢٥٣.

(٦٤) بُطَس مفردها بُطسة، وقد يحرف اسمها إلى بطشة أو بسطة، وهي سفن حربية عظيمة الحجم، وكثيرة القلوع حتى إن عدد قلوع البطسة الكبيرة منها يصل إلى أربعين قلعاً. استخدمت في نقل مؤن الجيوش وآلات المعارك والحصارات، وتحمل رجالاً يعدون بالآلاف. وكان يقال للبطسة الواحدة التي يستخدمها ملك الألمان في الحروب الصليبية "نصف الدنيا" دلالة على كبر حجمها.

- عبدالفتاح عبادة، سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام، مطبعة الهلال بالفجالة بمصر، ١٩١٣، ص١٠-١١.

(٦٥) الأفضل هو أبو الحسن علي أكبر أبناء صلاح الدين الأيوبي، ولد في سنة ٥٦٥ أو

٥٦٦هـ. أخذ دمشق بعد وفاة أبيه، وانتزعها منه عمه العادل بمساعدة أخيه العزيز صاحب مصر، وأعطاه صرخد. ولما توفي العزيز ترك طفلاً صغيراً فجاء الأفضل أتابكاً له في مصر. ثم انتزع العادل مصر منهما وأعطى الأفضل سُمَيْسَاط، فأقام بها إلى أن مات في صفر سنة ٦٢٢هـ.

- ابن خلكان، المصدر السابق، ج٣، ص٤١٩-٤٢١.

- والعادل هو أبو بكر محمد بن أيوب أخو صلاح الدين الأيوبي، ولد في المحرم سنة ٥٤٠ أو ٥٣٨هـ. كان ينوب عن أخيه صلاح الدين في مصر حال غيابه عنها، ثم ولاه حكم حلب فترة من الزمن، ثم أخذها منه وأعطاها لابنه الظاهر، وتنقل العادل في حكم بلدان عديدة. وبعد وفاة صلاح الدين نجح العادل في أخذ دمشق من الأفضل بن صلاح الدين، ثم استولى على مصر، فجمع تحت يديه معظم أقاليم الدولة الأيوبية. وتوفي العادل في سابع جمادى الآخرة سنة ٦١٥هـ.

- ابن خلكان، المصدر السابق، ج٥، ص٧٤-٧٩.

(٦٦) مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص٢٧٣-٢٧٤.

- L'Estoir d' Eracles, 2, pp. 216.
- Chronica Regia Coloniensis, Annales Maximi Colonienses, Monumenta Germaniae Historica, Scriptores Regum Germanicarum, G. Waitz, Hannover, 1880, 18, p. 160.

(٦٧) هنري شامبين Henry of Champagne هو ابن هنري الأول كونت شامبين، ولد في عام ١١٦٦م، وشارك في الحملة الصليبية الثالثة ١١٨٩-١١٩٢م، وتزوج من الملكة إيزابيلا الأولى، فتوج معها ملكاً على بيت القدس في عام ١١٩٢م. وظل ملكاً حتى وفاته في عام ١١٩٧م.

- The Crusades, An Encyclopedia, vol. II, p. 570-571.

(٦٨) سعيد عبدالفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص٧٥-٨٠.

- قاسم عبده قاسم وعلي السيد علي، الأيوبيون والمماليك، التاريخ السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، د. ت، ص٨٧.

- رنسيمان، المرجع السابق، ج٣، ص١٦٩-١٧٠.

(٦٩) الظاهر هو أبو الفتح وأبو المنصور غياث الدين غازي بن صلاح الدين الأيوبي. ولد في منتصف رمضان سنة ٥٨٦هـ، وأعطاه والده حلب، وظل يحكمها حتى وفاته بها في العشرين

من جمادى الآخرة سنة ٦١٣هـ. ابن خلكان، المصدر السابق، ج٤، ص٦-٩.

- وحلب من أعظم مدن شمالي بلاد الشام. حدد ياقوت موقعها مما حولها من البلاد فقال: "وأما المسافات فمنها إلى قنسرين يوم، وإلى المعرة يومان، وإلى أنطاكية ثلاثة أيام، وإلى الرقة أربعة أيام، وإلى الأثارب يوم، وإلى توزين يوم، وإلى منبج يومان، وإلى بالس يومان، وإلى خُناصرة يومان، وإلى حماة ثلاثة أيام، وإلى حمص أربعة أيام، وإلى حران خمسة أيام، وإلى اللاذقية ثلاثة أيام، وإلى جبلة ثلاثة أيام، وإلى طرابلس أربعة أيام، وإلى دمشق تسعة أيام. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٨٢-٢٩٠.

(٧٠) جبلة اسم لأماكن عديدة، وجبلة المقصودة هنا هي قلعة على الساحل الشامي بالقرب من اللاذقية. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٤-١٠٦.

- اللاذقية مدينة على ساحل البحر المتوسط من بلاد الشام، وتقع غربي جبلة، وبينهما ستة فراسخ. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٥، ص٥-٧.

(٧١) ديار الجزيرة هي البلاد الواقعة بين نهري دجلة والفرات، وتسمى جزيرة أقُور، وتضم ديار مضر وديار بكر. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٤-١٣٩.

- الموصل مدينة كبيرة في العراق، تقع ما بين دجلة والفرات، وكذا تقع في الوسط بين العراق الجنوبي وديار الجزيرة في الشمال. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٥، ص٢٢٣-٢٢٥.

(٧٢) بيروت مدينة على ساحل البحر المتوسط من بلاد الشام، بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٥٢٥-٥٢٦.

(٧٣) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩، ص٢٣٧.

- ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٤٣٦.

- ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال وحسنين محمد ربيع، الإسكندرية، ١٩٦٠، ج٣، ص٧١.

- وعن أسامة هذا فإن بعض المصادر ذكرت اسمه "عز الدين أسامة" فقط، وبعضها الأخر ذكره "عز الدين سامة" بدون همزة. وهو أمير بيروت، وعرف عنه نشاطه الجهادي ضد الصليبيين في البر والبحر، وقد تخلى عن الدفاع عن بيروت كما سيذكر في المتن، ولذلك فإن موقفه هذا أمر يثير العجب، ولا يتفق مع ما عرف عنه من قبل. وقد نكبه العادل في سنة ٦٠٩هـ.

– أبو شامة، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، صححه محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤، ص٨٠–٨١.

–انظر: ابن واصل، المصدر السابق، ج٣، ص٧٤.

– الذهبي، تاريخ الأسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧، ج٤٢، ص١٧.

– ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، دار هجر، الجيزة، ١٩٩٨، ج١٦، ص٦٧٧.

(٧٤) محمد بن محمد الأصفهاني، المصدر السابق، ج١١، ص٣٩٤.

– ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩، ص٢٣٧.

– ابن كثير، المصدر السابق، ج١٦، ص٦٧٥–٦٧٦.

– مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص٢٧٤–٢٧٧.

- L'Estoir d' Eracles, 2, pp. 217-219.
- Ernoul, op. cit., pp. 305-307.

– ويافا مدينة من أعمال فلسطين على ساحل البحر المتوسط، تقع بين غزة وبيت جبرين. ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج٥، ص٤٢٦.

(75) L'Estoir d' Eracles, 2, pp. 216-220.
- Ernoul, op. cit., pp. 305-307.
- Amadi, op. cit., pp. 90-91.

– مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص٢٧٧–٢٨١.

– دي فيتري، تاريخ بيت المقدس، ت سعيد البيشاوي، دار الشروق، عمان، ١٩٩٨، ص١٧٠.

– محمد بن محمد الأصفهاني، المصدر السابق، ج١١، ص٣٩٤.

– ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩، ص٢٣٧.

– أبو شامة، المصدر السابق، ص١٠–١١.

– ابن واصل، المصدر السابق، ج٣، ص٧٥.

–ابن العبري، تاريخ الزمان، ت إسحق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦، ص٢٢٩–٢٣٠.

– أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم ويحيي سيد، دار المعارف، القاهرة،د.ت، ج٣، ص١٨.

– ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، (ج٧ الدر المطلوب في اخبـار بنـي أيـوب، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢، ج٧، ص١٣٧.

– الذهبي، العبر في خبر من غبر، حققه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ج٣، ص١٠٧؛ تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص١٦.

– العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ضمن الموسوعة الشامية تحرير سهيل زكـار، دمشق، ١٩٩٥، ج٢٣، ص١٠٢.

– ابن كثير، المصدر السابق، ج١٦، ص٦٧٦–٦٧٧.

– ابن المقفع، تاريخ البطارقة، تحقيق عبدالعزيز جمال الدين، ط١، مكتبـة مـدبولي، القـاهرة، ٢٠٠٦، ج٣، ق٢، ص١٦١٥.

– المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، حققه محمد مصطفى زيادة وسعيد عبدالفتاح عاشور، ٤أجزاء، القاهرة، ١٩٣٦–١٩٧٣، ج١، ص١٤٠.

– ابن سباط، صدق الأخبار، حققه عمـر عبدالـسلام تـدمري، ط١، طـرابلس، ١٩٩٣، ج١، ص٢١٨، ٢٢١.

(76) L'Estoir d' Eracles, 2, pp. 221-223.
- Ernoul, op. cit., pp. 309-310.

– رنسيمان، المرجع السابق، ج٣، ص١٧٤.

– البابا إنوسنت الثالث Innocent III، اسمه بورن لوتاريو سيجني Born Lotario Signi ، واحـد من أقوى بابوات روما، ويؤمن بسمو البابوية وعظمتها على السلطة الزمنية. ولد إنوسنت في عام ١١٦٠م لأسرة إيطالية عريقة، تولى البابوية عام ١١٩٨حتى وفاته عام ١٢١٦م.

- Mcbrien, op. cit., pp. 194-196.
- Maxwell-Stuart, pp. 103-107.

(٧٧) صيدا هي مدينة من أعمال دمشق، تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهي بالقرب من صور، وبينهما ستة فراسخ. ياقوت، المصدر السابق، مج٣، ص٤٣٧.

(٧٨) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩، ص٢٣٩.

- Arnoldi Chronica Slavorum, 14, p. 203.
- Stevenson, the Crusaders in the East, Cambridge, 1907, p. 294.

(٧٩)نص الخطاب منشور في:

- Chronica Regia Coloniensis, 18, pp. 160-161.

(80) Chronica Regia Coloniensis, 18, pp. 161.

- Arnoldi Chronica Slavorum, 14, p. 204, 205.
- L'Estoir d' Eracles, 2, pp. 224-227.
- Ernoul, op. cit., pp. 311-317.

– دي فيتري، المصدر السابق، ص١٧٠.

– أبو شامة، المصدر السابق، ص١١.

– ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص٧٣؛ والتاريخ الصالحي، ضمن الموسوعة الشامية، سهيل زكار، ج٢١، ص٥٤٧.

– النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٨، حققه محمد محمد أمين ومحمد حلمي محمد أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ص٤٥٣-٤٥٤.

– العمري، المصدر السابق، ج٢٣، ص١٠١.

– ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ج٢، ص١١٠.

– الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص١٧؛ العبر، ج٣، ص١٠٧.

– ابن كثير، المصدر السابق، ج١٦، ص٦٧٧.

– المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص١٤٠.

– ابن سباط، المصدر السابق، ج١، ص٢٢١.

(81) Chronica Regia Coloniensis, 18, pp. 161.
(82) Chronica Regia Coloniensis, 18, pp. 161.
- Arnoldi Chronica Slavorum, 14, p. 205.

(٨٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص٧٤.

– الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص١٧.

– ابن كثير، المصدر السابق، ج١٦، ص٦٧٧.

(٨٤) نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، د. ت، ج٥، ص٢٢٤-٢٢٥.

(٨٥) والقاضي الفاضل هو أبو علي عبدالرحيم بن القاضي أبي المجد علي بن الحسن بن أحمد، المعروف بالقاضي الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبي. ولد بعسقلان سنة ٥٢٩هـ، وخدم في الدولة الفاطمية، ثم خدم صلاح الدين فأصبح وزيره، واستمر في خدمة ابنه العزيز بمصر، ثم المنصور ابن العزيز، وتوفي بالقاهرة عند دخول العادل مصر في ربيع آخر سنة ٥٩٦هـ. ابن خلكان، المصدر السابق، ج٣، ص١٥٨-١٦٢.

(٨٦) تِبْنِين ويسميها الفرنج تورون Toron بلدة في جبال بني عامر المطلة على بانياس، بين دمشق وصور.

- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج٢، ص١٤.

(٨٧) رنسيمان، المرجع السابق، ج٣، ص١٧٨.

- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ط٤، الأنجلو المصرية، ١٩٨٢، ج٢، ص٨٨٤.

(٨٨) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩، ص٢٣٨.

- مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص٢٨٢-٢٨٣.

- Arnoldi Chronica Slavorum, 14, p. 205-208.

(٨٩) مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص٢٨٣-٢٨٤.

- Arnoldi Chronica Slavorum, 14, p. 208-209.

(٩٠) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩، ص٢٣٨.

(٩١) عسقلان مدينة فلسطينية تقع على ساحل البحر المتوسط، بين غزة وبيت جبرين. ياقوت، المصدر السابق، مج٤، ص١٢٢.

(92) L'Estoir d' Eracles, 2, pp. 222-224.

- مؤرخ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص٢٨٤-٢٨٥.

- دي فيتري، المصدر السابق، ص١٧٠.

- ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩، ص٢٣٨.

- أبو شامة، المصدر السابق، ص١٣.

- ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص٧٦؛ والتاريخ الصالحي، ضمن الموسوعة الشامية، سهيل زكار، ج٢١، دمشق، ١٩٩٥، ص٥٤٧.

- ابن نظيف الحموي، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، ضمن الموسوعة الشامية، تحرير سهيل زكار، ج٢١، ص٣٣٣.

- ابن العبري، المصدر السابق، ص٢٣٠.

- أبو الفدا، المصدر السابق، ج٣، ص١١٨.

- ابن أيبك الدواداري، المصدر السابق، ج٧، ص١٣٧.

- العمري، المصدر السابق، ج٢٣، ص١٠٢.

- ابن الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص١١٠-١١١.

- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص١٩.
- ابن المقفع، المصدر السابق، ج٣، ق٢، ص١٦١٥-١٦١٧.
- ابن سباط، المصدر السابق، ج١، ص٢٢١.
- أحمد بن علي الحريري، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين علي ديار المسلمين، ضمن الموسوعة الشامية، تحرير سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٥، ج٢٣، ص٣٣٨.

(٩٣) حسن عبدالوهاب، المرجع السابق، ص١١٦-١١٩.

- رنسيمان، المرجع السابق، ج٣، ص١٧٩-١٨٠.

(٩٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩، ص٢٣٨.

- ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص٧٦-٧٧.
- أبو الفدا، المصدر السابق، ج٣، ص١١٨.
- ابن أيبك الدواداري، المصدر السابق، ج٧، ص١٣٧.
- العمري، المصدر السابق، ج٢٣، ص١٠٢.
- ابن الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص١١٠-١١١.

- L'Estoir d' Eracles, 2, pp. 227-228.
- Ernoul, op. cit., pp. 316-317.

(٩٥) سيس تقع بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة، وهي مقر ملك ليون الأرميني.

- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج٣، ص٢٩٧-٢٩٨.

(٩٦) سمباط، التاريخ المعزو إلى القائد سمباط، ضمن الموسوعة الشامية، تحرير سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٩، ج٣٥، ص٣٠٤-٣٠٥.

- Vartan, Extrait de L' Histoire Universelle, R. H. C. H. Arm., 1, p. 440-442.
- Sirarpie Der Nersessian, The Kingdom of Cilician Armenia, in Setton, 2, pp. 646, 648-649.

قائمة المصادر والمراجع

- المصادر الأجنبية :

- Amadi, Chronique D' Amadi et de Strambaldi, par M. R. De Mas Latrie, Paris, 1891.
- Annales Colonnienses Maximi, Karolus Pertz, Monvmenta Germaniae Historica, G. H. Pertz, 17, Hannover, 1925.
- Annales Londonienses and Annales Paulini, ed. W. Stubbs, Rolls Series, Kraus Reprint, London, 1965.
- Annales Marbacenses, R. Wilmans, Monvmenta Germaniae Historica, G. H. Pertz, 17, Hannover, 1925.
- Anonymi Rhenani Historia et Gesta Ducis Gotfridi, Recueil des Historiens des Croisades, Historeins Occidentaux, (R. H. C. H. Occ.), Paris, 1895.
- Anonymous, La Contintion de Guillaume de Tyre (1184-1197), par Margaret Ruth Morgan, Paris, 1982.

اعتمدت على الترجمة العربية للدكتور حسن حبشي بعنوان "ذيل وليم الصوري" لمؤرخ مجهول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، ص١٧١-١٧٢.

- Arnoldi Chronica Slavorum, Monumenta Germaniae Historica, Scriptores Rerum Germanicarum, G. H. Pertz, 14, Hannover, 1868.
- Burchardi Praepositi Urspergensis Chronicon, Monumenta Germaniae Historica, Scriptores Rerum Germanicarum, Z. Auflage, 16, Hannover, 1916.
- Choniates, N., O City Of Byzantium, Annals Of Niketas Coniates, Translated by Harry J. Magoulias, Detroit, 1984.
- Chronica Regia Coloniensis, Annales Maximi Colonienses, Monumenta Germaniae Historica, Scriptores Regum Germanicarum, G. Waitz, 18, Hannover, 1880.
- Ernoul, Chronique D' Ernoul et De Bernard le Tresoier, M. L. De Mas Latrie, Paris, 1871.
- L'Estoir d' Eracles Empereur et la conqueste de la Terre D' Outremer, R. H. C. H. Occ., 2, Paris, 1869.
- Geoffrey of Vinsauf, Chronicle of Richard the First's Crusade, London, 1848.
- Gesta Regum, Gervasii Cantuariensis Opera, Historical Works of Gervase of Canterbury, ed. W. Stubbs, Kraus Reprint, Oxford, 1965.
- Gotifredi Viterbiensis Opera, G. Waitz, Monvmenta Germaniae Historica, G.H. Pertz, 22, Hannover, 1872.
- Guiragos De Kantzag, Extrait L' Hisroire D' Arménie, R. H. C. H. Arm., Paris, 1869.
- Itinerarium Peregrinorum et Gesta Ricardi, Rolls Series,ed. W. Stubbs, London, 1864.

اعتمدت على ترجمة حسن حبشي لمؤرخ مجهول بعنوان"الحرب الصليبية الثالثة، صلاح الدين وريتشارد"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ج١، ص٨٥؛ ج٢، ص١٧٦.

- Recueil d' Annales Angévines et Vendômoises, Paris, 1903.
- Richard of Devizes, Chronicle of Devizes, concerning the Deeds of King Richard the First, King of England, London, 1848.

- Vartan, Extrait de L' Histoire Universelle de Vartan Le Grand, R. H. C. H. Arm., I, Paris, 1869.

- المصادر العربية والمعربة :

- أبو شامة، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، صححه محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤.

- أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم ويحيي سيد، دار المعارف، القاهرة،د.ت.

- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط٦، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

- أحمد بن علي الحريري، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين علي ديار المسلمين، ج٢٣، ضمن الموسوعة الشامية، تحرير سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٥.

- ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، (ج٧ الدر المطلوب في اخبار بني أيوب، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢.

- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

- دي فيتري، تاريخ بيت المقدس، ت سعيد البيشاوي، دار الشروق، عمان، ١٩٩٨.

- الذهبي، العبر في خبر من غبر، حققه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.

- الذهبي، تاريخ الأسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧.

- ابن سباط، صدق الأخبار، حققه عمر عبدالسلام تدمري، ط١، طرابلس، ١٩٩٣.

- سمباط، التاريخ المعزو إلى القائد سمباط، ج٣٥، ضمن الموسوعة الشامية، تحرير سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٩.

- ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٤.

- العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، قدم له حامد زيان غانم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.

- ابن العبري، تاريخ الزمان، ت إسحق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦.
- ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ضمن الموسوعة الشامية تحرير سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٥.
- ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، دار هجر، الجيزة، ١٩٩٨.
- محمد بن محمد الأصفهاني، ويعرف بالعماد (غير العماد الكاتب)، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، نشره سهيل زكار ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، ١٩٩٥.
- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، حققه محمد مصطفى زيادة وسعيد عبدالفتاح عاشور، ٤أجزاء، القاهرة، ١٩٣٦-١٩٧٣.
- ابن المقفع، تاريخ البطارقة، تحقيق عبدالعزيز جمال الدين، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٦.
- ابن نظيف الحموي، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، ج٢١، ضمن الموسوعة الشامية، تحرير سهيل زكار.
- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٥ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، د. ت؛ ج٢٨، حققه محمد محمد أمين ومحمد حلمي محمد أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.
- ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال وحسنين محمد ربيع، الإسكندرية، ١٩٦٠.
- ابن واصل، التاريخ الصالحي، ضمن الموسوعة الشامية، سهيل زكار، ج٢١، دمشق، ١٩٩٥.
- ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.
- وليم الصورى، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشى، ٤أجزاء، القاهرة، ١٩٩١-١٩٩٥م.

- المراجع الأجنبية :

- Abulafia, D., Frederick II A Medieval Emperor, Oxford, 1988.
- Austine Lane Poole, The Emperor Henry VI, in Cambridge Medieval History, New York, 1926.
- Cambridge Medieval History, New York, 1926.
- The Crusades, An Encyclopedia, ed. Murry, A. V., 4 vols., London, 2006.
- Edger, N. J., the Crusades of Frederick Barbarossa and Henry VI, in A History of the Crusades, ed. Setton, 6vols., London, 1969-1989.
- Henderson, E. F., A History of Germany in the Middle Age, London, 1894.
- Hussey, J. M., Byzantium and the Crusades 1081-1204, in Setton, 2, p. 149.
- Labande, E. R., Pour une image véridique d' Aliénor d' Aquitaine, Bulletin de la Société des Antiquaires de l' Ouest, 4th Série, 2, Poitiers, 1952.
- Lamb, H., The Crusades, The Flame of Islam, New York, 1931.
- Maxwell-Stuart, P. G., Chronicle of the Popes, London, 1997.
- Medieval France, An Encyclopedia, ed. William W. Kibler & Others, London, 1995.
- Medieval Germany, an Encyclopedia, ed. Jeep, J. M., London, 2001.
- Ostrogorsky, History of the Byzantine State, New Jersey, 1957.
- The Oxford Dictionary of Byzantium, ed. Alexander P.Kazhdan & Others, Oxford, 1991.
- Richard, P. Mcbrien, the Pocket Guide to the Popes, HarperCollens e-books(without date).
- Setton, A History of the Crusades, 6 vols., London, 1969-1989.
- Sirarpie Der Nersessian, The Kingdom of Cilician Armenia, in Setton, vol 2, London, 1969.
- Stevenson, the Crusaders in the East, Cambridge, 1907.
- Strayer, J. R., Western Europe in the Middle Age, New York, 1955.
- Stubbs, W., Germany in the Later Middle Ages, 1200-1500, ed. Hassall, A. M. A., London, 1908.
- Vasiliev, A. A., History of the Byzantine Empire 324-1453, London, 1952.

- المراجع العربية والمعربة :

- إدبيوري، قبرص والحروب الصليبية، ط١، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧.

- إسحق عبيد، روما وبيزنطة، من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة القسطنطينية ٨٦٩-١٢٠٤م، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠.

- باراكلاف، الإمبراطورية في العصور الوسطى، فكرة وحقيقة، ت جوزيف نسيم يوسف، ضمن كتاب "الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى"، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٦.

- حسن عبدالوهاب حسين، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة، حوالي ١١٩٠-١٢٩١م/٥٨٦-٦٩٠هـ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ت.

- حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣.

- رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ت السيد الباز العريني، ط٣، بيروت، ١٩٩٣، ج٣، ص٣٢.

- زبيدة محمد عطا، الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، ط٢، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤.

- زينب عبدالمجيد عبدالقوي، الإنجليز والحروب الصليبية في الفترة من ١١٨٩-١٢٩١م، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، د.ت.

- سعيد عبدالفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١.

- سعيد عبدالفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى، التاريخ السياسي، ط٧، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨.

- سعيد عبدالفتاح عاشور، قبرس والحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ٢٠٠٢.

- سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ط٤، الأنجلو المصرية، ١٩٨٢.

- عبدالفتاح عبادة، سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام، مطبعة الهلال بالفجالة بمصر، ١٩١٣.

- عادل عبدالحافظ حمزة، العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.
- عادل عبدالحافظ حمزة، الحرمان الكنسي في العصور الوسطى حتى نهاية النصف الأول من القرن ١٣م (أصوله، أنواعه، استخدامه، ونتائجه)، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد الخامس، يناير، ١٩٩٩م.
- فيشر، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ت محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، ط٦، دار المعارف، القاهرة، د. ت.
- قاسم عبده قاسم وعلي السيد علي، الأيوبيون والمماليك، التاريخ السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، د. ت.
- ماير، تاريخ الحملات الصليبية، نقله إلى الإنجليزية جيلنجهام، وعربه محمد فتحي الشاعر، ط١، دار الأمين بالقاهرة، ١٩٩٩.
- محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤.
- محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠.
- هسي، العالم البيزنطي، ت رأفت عبدالحميد، ط٢، دار المعارف، ١٩٨٥.
- **الرسائل :**
- أحمد رشاد محمد أحمد، مملكة نيقية البيزنطية وعلاقاتها بالشرق الإسلامي والغرب اللاتيني ١٢٠٤-١٢٦١م، ماجستير غير منشور بآداب المنيا، إشراف أ د/زبيدة محمد عطا، ١٩٩٩.
- ليلى عبدالجواد إسماعيل، السياسة الخارجية للمملكة اللاتينية في القسطنطينية ١٢٠٤-١٢٦١م، ماجستير غير منشور بآداب القاهرة، إشراف أ د/حسنين محمد ربيع، ١٩٨٠.
- محمد دسوقي محمد حسن، العلاقات السياسية الفرنسية الإنجليزية وأثرها على الحروب الصليبية في المشرق والمغرب الإسلاميين(١١٣٧-١٢٢٣م/٥٣١-٦٢٠هـ)، ماجستير غير منشور، إشراف أ.د/علي أحمد محمد السيد، كلية الآداب بجامعة الإسكندرية(فرع دمنهور)، ٢٠٠٦.